طريق الوصول

إلى فهم

ثلاثة الأصول

ويليه

تعليقات وفوائد

على متن

أربع القواعد

تأليف
أبي محمد
كامل بن علي بن محسن الضالعي

دار العلم النافع
للطباعة والنشر والتوزيع

طريق الوصول

إلىٰ فهم

ثلاثة الأصول

ويليه

تعليقات وفوائد

علىٰ متن

أربع القواعد

تأليف

أبي محمد كامل بن علي بن محسن الضالعي

محفوظة
جميع الحقوق

اسم الكتاب: طريق الوصول إلىٰ فهم ثلاثة الأصول
ويليه تعليقات وفوائد علىٰ متن أربع القواعد
المؤلف: أبو محمد كامل بن علي بن محسن الضالعي
مقاسات الكتاب: ١٧×٢٤
تاريخ التنسيق: ١٤٤٤هـ
الطبعة: (الثانية)
دار العلم النافع - الضالع - اليمن

اليمن – محافظة الضالع
جوار دار الحديث السلفية

+٩٦٧ ٧٣٧ ٨٥٠ ٧٨٣ - +٩٦٧ ٧٧٧ ٨٢٧ ٥٣٢
Email:amarhedyain@gmail.com

طريق الوصول إلى فهم ثلاثة الأصول

تعليقات وفوائد علىٰ متن أربع القواعد

طريق الوصول

إلى

فهم ثلاثة الأصول

رسمه ووضّحه

أبو محمّد كامل بن علي الضالعي

مكتبة العلم النافع – الضالع – اليمن

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١] .

أما بعد:

فإن رسالة ثلاثة الأصول للإمام المجدّد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، من الرسائل العلمية النافعة التي يحتاج المسلم أن يتعلّمها؛ لاشتمالها علىٰ الجواب عن

أسئلة القبر الثلاثة، التي يُسأل عنها العبد أول نزوله القبر: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيُّك؟

فمن نجا من هذه الفتنة (**فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ قَدْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا، وَيُفْتَحُ لَهُ فِيهَا مَدَّ بَصَرِهِ**).

ومن لم ينج منها (يُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ كَذَبَ، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ النَّارِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَىٰ النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّىٰ تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ). [١]

ولهذا اعتنىٰ علماؤنا بهذه الرسالة حفظًا، وتعلّمًا، وتعليمًا، وتصنيفًا بالشرح لها والتوضيح، فكثرت الكتب التي شرحت هذه الرسالة بين المطوّلة والمختصرة. فأحببت أن أشارك في خدمة هذه الرسالة، فوضعت هذا الشرح المختصر [٢]، وقد اخترت طريق الاختصار لأنّه الذي يناسب البادئين الراغبين في فهم هذه الرسالة المباركة، وأنا مستفيد فيما جمعته ممّن شرح هذه الرسالة من المشايخ والدعاة – جزاهم الله خيرا–، وسمّيت هذا الشرح المختصر بـ: **"طريق الوصول إلىٰ فهم ثلاثة**

---

(١) رواه أبو داود من حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو في الصحيح المسند لشيخنا الإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ .

(٢) وهذا الشرح كنت قد أمليته علىٰ إخواني طلّاب العلم أثناء تدريس هذا المتن في دارنا العامرة بالعلم والسنة – دار الحديث السلفية بالضالع حرسها الله– .

الأصول"، فالله أسأل أن ينفع بهذا الشرح كما نفع بأصله، وأن يكون لنا ذُخرًا ﴿ **يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَىٰ اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ** ﴾ [الشعراء:٨٩].

والحمد لله ربّ العالمين

كتبه

أبو محمد كامل بن علي بن محسن الضالعي

بدار الحديث السلفية للعلوم الشرعية بالضالع

شهر صفر – ١٤٤٢هـ

ترجمة المصنف

فضل علم التوحيد

إذا كانت العلوم الشرعية كلُّها فاضلة لتعلقها بالوحي المطهر؛ فإن علم التوحيد في الذروة من هذا الفضل العظيم؛ لأنه يتعلق بأشرف ذات وأكمل موصوف، بالله الحي القيوم.

ومنزلة العلم تكون بقدر حاجة الناس إليه، وبما يحصل لصاحبه من الانتفاع به في الدنيا والآخرة. وحاجة العباد إلىٰ علم التوحيد فوق كل حاجة، وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة، لأنه لا حياة للقلوب ولا نعيم ولا طمأنينة إلا بأن تعرف ربها ومعبودها بأسمائه وصفاته وأفعاله، وما يجب له وما يُنزَّه عنه، ويكون مع ذلك أحب إليها مما سواه، ويكون سعيها فيما يقربها إليه دون غيره من سائر خلقه، ولهذا فقد أخطأ كثير من الدعاة عندما أهملوا هذا الجانب ولم يعتنوا بالتوحيد في دروسهم وخُطبهم وتآليفهم.

أهمية التوحيد

والتوحيد أول منازل الطريق وأول واجب علىٰ المكلَّف، فالتوحيد أول ما يُدخَل به في الإسلام، فلما بعث النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ علىٰ اليمن قال له: (**إنك تقدَم علىٰ قوم أهل كتاب؛ فليكنْ أولَ ما تدعوهم إليه عبادةُ الله** ...) رواه

البخاري (١٤٥٨)، ومسلم (١٩) عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وفي لفظ عند البخاري (٧٣٧٢): (**فليكنْ أولَ ما تدعوهم إلىٰ أن يوحدوا الله تعالىٰ...**).

فالتوحيد أول واجب يتعلمه المسلم، قال الله تعالىٰ : (**فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات**).

والتوحيد آخر ما يخرج به من الدنيا، قال عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ: (**لقنوا موتاكم**[1] **لا إله إلا الله**) رواه مسلم (٩١٧) عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وقال عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ: (**من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة**) رواه مسلم (٢٦) عن عثمان بن عفان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ .

وبقي رسول الله ﷺ داعيًا إلىٰ التوحيد من أول البعثة حتىٰ آخر ساعات حياته – عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ–، فقد كان يمر علىٰ المشركين في مجالسهم وأسواقهم وهو يقول: «**قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا**»... وفي آخر لحظات عمره كان يقول: «**لعنةُ الله علىٰ اليهود والنصارىٰ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**».

وتوحيد الله وإفراده بالعبادة هو الغاية من خلق العالمين، كما قال الله –تعالىٰ–: ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾ .

تنبيه:

اعلم – وفّقك الله– أنّ هذا المتن تضمّن ثلاث رسائل:

---

(١) أي: المريض الذي اشتد عليه المرض، فخُشي عليه الموت .

الأولىٰ: رسالة الأربع المسائل.

الثانية: رسالة المسائل الثلاث.

الثالثة: رسالة الأصول الثلاثة.

وهذه الرسائل الثلاث جمعها في متن واحد من جاء بعد المصنّف رَحِمَهُ اللَّهُ، لما بينها من الاشتراك والتقارب في معنىٰ المسائل التي اشتملت عليها.

❊❊❊

أوّلا: رسالة الأربع المسائل

بسم الله الرحمن الرحيم[١]

اعْلَمْ[٢] رَحِمَكَ اللهُ[٣]...

[١] **قوله: (بسم الله الرحمن الرحيم)** (١)

ابتدأ المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ رسالته بالبسملة اقتداءً بكتاب الله تعالىٰ وسنَّة رسوله ﷺ، فإنَّه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كان يفتتح رسائله ومكاتباته بالبسملة .

[٢] **قوله: (اعلم)**

وهذه الكلمة يؤتىٰ بها لتنبيه القارئ أو السامع عند ذكر الأشياء المهمَّة التي ينبغي للمتعلِّم أن يُصغي إلىٰ ما يُلقىٰ إليه منها.

أي: كُنْ متهيّئًا ومتفهّمًا ومستعدًّا لما سيُلقىٰ إليك من العلوم.

[٣] **قوله: (رحمك الله).**

أي: غفر الله لك ما مضىٰ من ذنوبك، ووفّقك وعصمك فيما يُستقبل منها.

قال شيخ الاسلام رَحِمَهُ اللَّهُ : (ورحمته اسم جامع لكل خير). مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ٦٢).

---

(١) الكلام عن البسملة وإعرابها ومعناها سيأتي ذكره –إن شاء الله– في كتاب آخر في سلسلة دروس العقيدة في بداية شرح الواسطية للعلامة محمد خليل هراس رَحِمَهُ اللَّهُ .

أنه يجب علينا:[١]

= وهذا الدعاء من حُسن عناية المصنِّف وشفقته ونصحه وقصده الخير للمسلم؛ فإنَّ هذا الدعاء يؤثِّر في نفس المتعلِّم ويجعله مقبلا علىٰ معلِّمه.

وتكرر دعاء المصنف للقارئ والسامع في عدة مواضع من هذه الرسالة، وكذا في كثير من رسائله ومصنفاته.

[١] قوله: (يجب علينا). (١)

ودليل هذا الوجوب هو السّورة التي سيذكرها المصنِّف، فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ أقسم أنَّ جنس الإنسان -كلَّ إنسان- في خُسر -أي: ضياع وهلاك-، ولا ينجو ولا يسلم أحد من هذا الهلاك والضياع إلَّا من تعلَّم هذه المسائل الأربع وعمل بها، فدلَّ ذلك علىٰ وجوب تعلُّمها.

والمقصود بالوجوب هنا: الوجوب العيني والوجوب الكفائي.

ومن الفروق بينهما: أنَّ الوجوب العيني هو الذي يكون في الأمور التي لا يستقيم دين العبد إلَّا بها. فما زاد عن ذلك فهو من الوجوب الكفائي.

ومن الفروق أيضًا: أن الوجوب العيني يُنظَرُ فيه إلا العامل، أي: يجب علىٰ كل مكلف أن يأتي به.

---

(١) الواجب هو الذي يؤجر من فعله تقربـًا إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، ومن تركه فقد عرض نفسه للعقوبة.

تعلم أربع مسائل[١].

(الأُولَى) الْعِلْمُ،[٢] وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ، ومعرفةُ دينِ الإسلام...

=أما الوجوب الكفائي فيُنظَرُ فيه إلىٰ العمل، فإذا وُجد العمل علىٰ الوجه المشروع؛ سقط الوجوب عن الباقين.

[١] **قوله: (أربع مسائل)**

أي: أربعة مباحث، وهذه المسائل تشمل الدِّين كلَّه إجمالاً.

وذكر العلَّامة ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ في «زاد المعاد »(٣/ ٩)، أنَّ هذه المسائل الأربع هي مراتب جهاد النفس.

[٢] **قوله: (العلم)**

أي: العلم الشرعي.

والعلم لغة: المعرفة.

فالعلم الشرعي هو: إدراك خطاب الشرع.

والإدراك: الفهم.

وخطاب الشرع، أي: الكتاب والسنَّة، وما بُني عليهما من إجماع وقياس وغير ذلك.

والغاية والثمرة من العلم الشرعي هي: أن يعرف العبدُ ربَّه عَزَّوَجَلَّ ودينَه ونبيَه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ معرفة مبنيةً علىٰ الدليل، وسيأتي الحديث عن هذه المعارف الثلاث في رسالة ثلاثة الأصول إن شاء الله تعالىٰ.

بالأدلة[١].

(الثانية): العملُ به[٢].

[١] **قوله: (بالأدلَّة)**

أي: أدلَّة الكتاب والسنة. ففيه إشارة إلىٰ أن هذا العلم لا يصلُح فيه التقليد.

والأدلَّة: جمع دليل، وهو: الذي يُرشد إلىٰ المطلوب.

لأنَّ العلم هو: معرفة الشيء علىٰ حقيقته معرفةً جازمةً، ولا يكون كذلك إلَّا إذا كان قائمـًا علىٰ الدليل.

قال شيخ الإسلام ابنُ تيميّة رحمه الله: (إنَّ العلمَ ما قام عليه الدليل، والنافعَ منه ما جاء به الرسول) اهـ «مجموع الفتاوىٰ» (٦/ ٣٨٨)

وقال رحمه الله: (من فارق الدليل ضلَّ السبيل، ولا دليل إلَّا ما جاء به الرسول).

نقله عنه تلميذه ابن القيِّم في « مفتاح دار السعادة» (١/ ٨٣).

تنبيه:

المقصود من اقتران المعرفة بالأدلَّة هو: اعتقاد العبد اعتقاداً جازمـًا أنَّ الذي آمن به قد دلَّت عليه وشهدت بصحّته أدلَّة وبراهين شرعية ثابتة وصحيحة، فإنَّ هذا الاعتقاد كافٍ في كون معرفته قائمة علىٰ الدليل، ولو لم يَحْفظ أو يَطَّلع علىٰ تلك الأدلَّة.

[٢] **قوله: (والعمل به)**

أي: العمل بالعلم.

(الثالثة) الدعوةُ إليه.[١]

(الرَّابِعَةُ) الصَّبْرُ عَلَى الأَذَى فِيهِ[٢]...

=ومعنىٰ العمل بالعلم هو: ظهور صورة خطاب الشرع علىٰ العبد، وذلك بأن يمتثل العبد لخطاب الشرع، والامتثال يكون بتصديق الأخبار وفعل الأوامر واجتناب النواهي، واعتقادِ حِلِّ الحلال وتحريمِ الحرام.

والعمل هو ثمرة العلم، فمن عمل بلا علم فقد شابه النصارىٰ، ومن علم ولم يعمل فقد شابه اليهود، والذي معه علم ولا يعمل به شرٌّ من الجاهل.

وقد قيل: علم بلا عمل كشجرة بلا ثمر، أي: لا فائدة فيها.

[١] **قوله: (والدعوة إليه)**

أي: والدعوة إلىٰ العلم، والعمل به.

فيدعو إلىٰ معرفة الله عَزَّوَجَلَّ ومعرفة دينه، ومعرفة نبيَّه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ويدعو إلىٰ العمل بهذا العلم.

فمن دعا إلىٰ هذا المعنىٰ مع موافقته للمنهج النبوي في الدعوة؛ فإنَّه يدعو إلىٰ الله كما أراد الله عَزَّوَجَلَّ.

[٢] **قوله: (الصبر علىٰ الأذىٰ فيه)**

(الصبر): هو حبس النفس. (عل الأذىٰ فيه) أي: علىٰ الأذىٰ في العلم، تعلماً وعملاً ودعوةً؛ فإنَّ المتعلِّم والعامل والداعي إلىٰ الحق لابد أن يصيبه الأذىٰ.

وَالدَّلِيلُ:[١] قَوْلُهُ تَعَالَى:[٢] ﴿ وَالْعَصْرِ[٣] * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ - ٣].

[١] **قوله: (والدليل)**

أي: والدليل علىٰ وجوب تعلُّم هذه المسائل الأربع. قوله تعالىٰ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ - ٣].

[٢] من السنة أن تبدأ بقراءة البسملة عند قراءة السورة، وإنْ تركْتها فلا حرج.

[٣] **قوله تعالى: ﴿ وَالْعَصْرِ ﴾**

العصر هو: الوقت الكائن آخر النهار.

وقيل: هو الدَّهر والزمان لأنَّه محل الأعمال، والأول أظهر، بدليل أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ قد أقسم بالضحىٰ والفجر والليل، ولأن لفظ العصر يذكر في الأدلة ويراد به الوقت الذي يكون آخر النهار، ولأنه وقت فاضل، ولهذا كانت صلاة العصر أفضل الصلوات الخمس، فهي الصلاة الوسطىٰ.

فأقسم الله -تعالىٰ- أنَّ جنس الإنسان في خسر، ثم استثنىٰ الله عَزَّوَجَلَّ من الخُسر والهلاك من اتَّصف بأربع صفات.(١)

(١) وأكَّد هذا المعنىٰ بثلاثة مؤكدات: ١- القسم. ٢- (إنَّ) التوكيدية. ٣- اللام في قوله: (لفي خسر).

.....

الصفة الأولى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾

وهذا دليل العلم؛ لأنَّ الإيمان في أصله وكماله لا يحصل إلَّا بالعلم، فالعلم شرط لصحة الإيمان، ويزداد الإيمان بزيادة العلم.

قال شيخ الإسلام: (فمِنْ شَرْطِ الإيمان وجودُ العلم التّام) «مجموع الفتاوىٰ» (٧/ ٥٣٨)

الصفة الثانية: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ﴾

وهذا دليل العمل، أي: عملوا الصالحات من واجبات ومستحبات.

فائدة:

وصف العمل بـ(الصّالحات) يبيّن أنَّ المطلوب من العبد ليس أي عمل، بل المطلوب منه عمل مخصوص، وهو: العمل الصالح.

والعمل الصالح هو: ما كان خالصاً لله عَزَّوَجَلَّ وموافقاً لسنة رسول الله ﷺ.

فمن اتّصَف بهاتين الصفتين (العلم والعمل به) فقد وصل إلىٰ درجة تحقيق الكمال الإنساني، وذلك باجتماع القوة العلمية والقوة العملية.

وبعدَ أن يُكَمِّل العبدُ نفسَه؛ فإنَّه يُكَمِّل غيره، وذلك بتحقيق الصفتين التاليتين:

الصفة الثالثة: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالحَقِّ﴾ .

وهذا دليل الدعوة، فأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، ونشروا الخير في الناس.

والتواصي بذلك: تفاعُل من الوصية بين اثنين فأكثر، وهذه حقيقة الدعوة إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ.

قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلا هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ.[١]

=أي: أوصىٰ بعضهم بعضاً بالعلم النافع، والعمل الصالح، فالمسلم مرآة أخيه المسلم... فيوجه بعضهم بعضًا، وينصح بعضهم بعضًا.

الصفة الرابعة: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.

أي: أوصىٰ بعضهم بعضاً بالصّبر، الصبر علىٰ طلب العلم،(١) والصّبر عند العمل به،(٢) والصّبر عند الدعوة إلىٰ ذلك العلم والعمل.(٣)

[١] ولمَّا كانت هذه السورة شاملة لهذه المقاصد والأصول العظيمة، فقد قال فيها الإمام الشافعي: (لو تدبَّر الناس هذه السورة لوَسِعتهم) وفي لفظ: (لو تفكَّر).

ومراده رَحِمَهُ اللَّهُ: أنَّ هذه السورة كافية في الحثِّ علىٰ التمسُّك بدين الله، أي: بالإيمان والعمل الصالح والدعوة إلىٰ الله، والصبر علىٰ ذلك، وأنَّ من فعل ذلك فقد سلم من الخسارة، ونال السعادة الحقيقية.

---

(١) فلا يمكن أن تطلب العلم وتستمر في طلبه إلا إذا كنت متحليًا بالصبر...

(٢) ولا يمكن أن تعمل بعلمك وتثبت علىٰ الاستقامة إلا إذا كنت متصفًا بالصبر.

(٣) كم قال ورقة بن نوفل: ما جاء أحد بمثل ما جئت به إلا عُودي .

وَقَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: (بَابٌ: العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [محمد: ١٩]، فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ) قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ".[١]

=**قال شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ: فإن الله -تعالىٰ- أخبر أن جميع الناس خاسرون، إلا من كان في نفسه مؤمنًا صالحًا، ومع غيره موصيًا بالحق موصيًا بالصبر). «مجموع الفتاوىٰ» (٢٨/ ١٥٢)

تنبيه:

ذكر المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ قول الإمام الشافعي: (لو ما أنزل الله حجَّة علىٰ خلقه إلَّا هذه السورة لكفتهم)[(١)]، إلَّا أنَّ اللفظ المشهور الذي نقله عنه الأئمَّة كابن تيميَّة وابن القيم وابن كثير هو: (لو تدبَّر الناس هذه السورة لوَسعتهم) وفي لفظ (لو تفكَّر الناس في هذه السورة لوسعتهم)، فهذا هو اللفظ المعتمد من كلام الشافعي؛ فلينتبه لذلك.

[١] ولمَّا كان المقدَّم والمهمّ من هذه المسائل الأربع هو العلم؛ فقد أورد المصنف كلام الإمام البخاري[(٢)] رَحِمَهُ اللَّهُ، ولفظه: (بابٌ: العلمُ قبلَ القول والعمل، لقول الله -تعالىٰ-: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّه لَا إِلَهَ إِلَّا الله﴾ فبدأ بالعلم).

---

(١) وهذا اللفظ معناه غير صحيح، فإن هذه السورة غير كافية في إقامة الحجة علىٰ العباد.

(٢) ذكره البخاري في كتاب العلم من صحيحة .

.....

فقول المصنّف رحمه الله : (قبل القول والعمل)

هذا زيادة تفسير، فسَّر به المصنِّف معنىٰ البدء المذكور في كلام البخاري؛ فإنّ البخاري قال: (فبدأ بالعلم)، ولم يقل: (قبل القول والعمل) لأنَّه اكتفىٰ بما ذكره في أصل ترجمته، حيث قال: (بابٌ: العلمُ قبلَ القول والعمل).[1]

قال ابن القيّم رحمه الله:

(العلم إمام العمل، وقائد له، والعمل تابع له ومؤتمّ به) . «مفتاح دار السعادة» (١/ ١٠٤)

وقال الشاعر:

وكـــلُّ مَـــنْ بغيـــر علـــم يعمـــلُ أعمالُـــــه مـــــردودةٌ لا تُـــــقبلُ

ووجه الاستدلال بالآية علىٰ البدْءِ بالعلم قبل القول والعمل: أنَّ الله أمر أولاً بالعلم في قوله: ﴿فَاعْلَمْ﴾، ثم عطف عليه الأمر بالقول والعمل، فقال -سبحانه-: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لذنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾، والاستغفار قول وعمل، القول: في الدعاء بالمغفرة عند قول الداعي: أستغفر لله. والعمل: في الاستغفار؛ فإنَّه إذا أُطلق دخلت فيه التوبة، والتوبة تشمل القول والعمل.

فالاستغفار حقيقته: التوبة مع الدعاء بطلب المغفرة.

---

(١) وهناك دليل عقلي نظري يدل علىٰ أن العلم قبل القول والعمل، وذلك لأن القول أو العمل لا يكون صحيحًا مقبولًا حتىٰ يكون موافقًا للشريعة، ولا يمكن أن يعلم الإنسان أن قوله أو عمله موفق للشريعة إلا بالعلم .

ثانياً: رسالة المسائل الثلاث

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

اعلم رحمك الله[(١)] أنّه يجب[١] على كل مسلم ومسلمة تعلم[٢] هذه الثلاث مسائل، والعمل بهن.

الأولى:[٣] أن الله خلقنا ورزقنا[٤]...

---

[١] **قوله:** (**يجب**) هذا الوجوب المراد به: الوجوب العيني، بدليل قوله: (**يجب علىٰ كل مسلم ومسلمة**).

[٢] ليس المقصود مجرد القراءة أو السماع بهذه المسائل، وإنما المراد هو فهم هذه المسائل الثلاث ثم العمل بهذا العلم الذي قد فهمته، فإن العمل هو ثمرة العلم .

[٣] المسألة الأولى

المقصود من المسألة الأولىٰ: بيانُ وجوبِ طاعة الله عَزَّوَجَلَّ وتوحيده، واتّباع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو معنىٰ الشهادتين: شهادة أنْ لا إله إلَّا الله وأنَّ محمدًا رسول الله.

[٤] **قوله:** (**خلقنا ورزقنا**)

---

(١) سبق الكلام عن فائدىٰ الإتيان بهذا التنبيه وبهذا الدعاء...

ولم يتركنا هملًا[١]، بل أرسل إلينا رسولًا[٢]؛ فمن أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار.

=وكذلك أعطانا من أصناف النِّعم التي لا يحصيها إلَّا الله -تعالىٰ-، وكلُّ ذلك لغاية عظيمة، وهي: الاستعانة بها علىٰ عبادة الله وحده.

[١] قوله: (ولم يتركنا هَمَلًا)

أي: لم يتركنا مهملين، لا نؤمر ولا نُنهىٰ، بل إن الملك من ملوك الدنيا يُنزه أن يترك رعيته مهملين، يأكل بعضهم بعضاً، ويؤذي بعضهم بعضاً بل لا بد أن يوجههم ويأمرهم، ويمنعهم، وينهاهم... قال الله تعالىٰ ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾.

وقد بيَّن الحق -تبارك وتعالىٰ- الغاية التي من أجلها خَلَقَ الجن والإنس بقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.

[٢] قوله: (بل أرسل إلينا رسولاً)

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، خاتم الأنبياء والمرسلين -عليهم الصلاة والسلام-.

فمن تمام ربوبيّة الله: تمامُ الرعاية لعباده، ومن تمام الرعاية: إرسالُ الرسل إليهم، يهدونهم إلىٰ صراط الله المستقيم ويخبرونهم بما يجب عليهم من حقٍّ لله عَزَّوَجَلَّ، فمن ظنَّ أنَّ الله يترك عباده سدًىٰ هملاً لا يُعرِّفُهم ما ينفعهم في معاشهم ومعادهم وما يضرّهم فيهما، فهذا الظنُّ هضمٌ -أي: تَنَقُّصٌ- للربوبية ونسبةُ الرَّب -تعالىٰ-إلىٰ ما لا يليق به، وما قدَرَه حقَّ قَدْرِه من نسبه إليه. انظر «مدارج السالكين» (١/ ٨).

والدليل: قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً﴾. [١] [٢]

[١] **قوله -تعالى-: ﴿ شَاهِدًا عَلَيْكُمْ ﴾**

هذه إحدىٰ الحكم من إرسال الرسل، وهي إقامة الحجَّة علىٰ العباد.

أي: يشهد عليكم عند الله عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة بأنَّه بلغكم رسالة الله، وأقام الحجَّة عليكم، كما قال -تعالىٰ-:﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَىٰ اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء:١٦٥].

[٢] **قوله -تعالى-: ﴿فأخذناه أَخْذاً وَبِيلاً﴾.**

أي: فأهلكناه إهلاكًا شديداً.

ومناسبةُ ذكرِ إرسال موسىٰ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إلىٰ فرعون، وعاقبةِ عصيانه:

أن فيه تحذيرًا لهذه الأمَّة من عصيان النبي المرسل إليها، فَيَحِلُّ بهم عذابُ الله في الدنيا والآخرة، وأنَّهم إن أطاعوه نجوا من العذاب ودخلوا الجنة، وهذا دليل علىٰ وجوب طاعته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ لأنَّ النجاة من النار ودخول الجنَّة معلَّق بتحقيق طاعته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، كما قال رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**كل أمة يدخل الجنة إلا من أبىٰ...** ».الحديث.

فإنَّ إرسال محمد كإرسال موسىٰ -عليهما الصلاة والسلام-، فكما أنَّ من عصىٰ موسىٰ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هلك، فكذلك من عصىٰ محمداً عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

الثانية:[١] أن الله لا يرضى[٢] أن يشرك معه أحد في عبادته، لا مَلَك مقرب ولا نبي مرسل[٣].

=فالتشابه في الفعل يستلزم التشابه في الحُكم، بل هؤلاء أولىٰ بالهلاك والعقاب إن كذَّبوا محمداً، لأنَّه أشرف وأفضل من موسىٰ بن عمران -عليهما الصلاة والسلام-.

[١] المسألة الثانية

المقصود من المسألة الثانية:

بيانُ أنَّ العبادة إذا خالطها شرك فإنَّها لا تُقبل، فلابد أن تكون العبادةُ خالصة لوجه الله -الكريم-، وهذا فيه إبطال الشرك في العبادة، فلا يستحقُّ العبادة إلَّا الله، ولهذا لا يرضىٰ -سبحانه- أن يُشْرَك معه في عبادته أحد، كائنًا من كان، لأنَّ العبادة حقٌّ لله عَزَّوَجَلَّ، وحقُّ الله لا يقبل الشِّرْكة، فلا يرضىٰ أن يشاركه في هذا أحد، كما قال -سبحانه- في الحديث القدسي: **(أنا أغنىٰ الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه)**. رواه مسلم عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (٢٩٨٥).

[٢] قوله: (لا يَرْضىٰ):

كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾.

[٣] قوله: (لا ملك مقرَّب ولا نبي مرسل)

الملك المقرَّب هو: أفضل الملائكة، مثل: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل -عليهم السلام-.

والدليل: قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُو مَعَ اللَّهِ أَحَداً﴾. [١] [٢][٣]

=والنبيّ المرسل هو: أفضل البشر، مثل: محمد، وإبراهيم، وموسىٰ، وعيسىٰ، ونوح -عليهم الصلاة والسلام- .

فإذا كان الله عَزَّوَجَلَّ لا يرضىٰ الإشراك بهم مع عظيم منزلتهم عند الله، فمَنْ دونهم من باب أولىٰ.

[١] **قوله -تعالى-:** ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ [الجن:١٨].

قيل: المساجد هي أماكن الصلاة، وقيل: المواضع أي: أعظاء السجود التي يَسْجد عليها المصلي، والأوّل أظهر، والمقصود أن هذه المواضع إنما بُنيت للصلاة والعبادة وذكر الله، فلا تعبدوا فيها مع الله أحداً.

[٢] **قوله -تعالى-:** ﴿فَلا تَدْعُوا﴾

أي: لا تدعوا غير الله، لا دعاء المسألة، ولا دعاء العبادة.

والفرق بينهما: (١)

١)أنّ دعاء المسألة هو: أن تسأل مطلوبك من الله عَزَّوَجَلَّ بلفظ صريح، كأن تقول: يا غفور، اغفر لي. يا رزّاق، ارزقني...

(١) وانظر ص(٤١) من هذا الشرح.

الثالثة:[١] أن من أطاع الرسول ووحد الله لا يجوز له موالاةُ من حاد الله ورسوله، ولو كان أقربَ قريب.

= **٢)** أمَّا دعاء العبادة فهو: العبادة نفسها من صلاة أو صيام أو غيرها، فالمتعبِّدُ لله بأي عبادة سائل لله عَزَّوَجَلَّ [(١)]، لأنَّه إنَّما عبده فصلىٰ أو صام رغبة في الآخرة، فكأنَّه سأل الله عَزَّوَجَلَّ الثواب والأجر علىٰ هذه الطاعات.

[٣]وقوله -تعالى-:﴿ أَحَدًا ﴾

نكرة في سياق النهي تفيد العموم، فلا يجوز دعاءُ غير الله، مهما عظم قدره.

فيكون قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا﴾ دليلًا علىٰ أنَّ العبادة كلها لله وحده، فلا تعبدوا مع الله أحداً. وإبطال عبادةِ غير الله يتضمَّن إثباتَ العبادة لله وحده.

[١] المسألة الثالثة

المقصود من المسألة الثالثة:

بيانُ أنَّ الولاء والبراء من حقوق التوحيد، وأنَّه يجب البراءةُ من المشركين؛ لأنَّ طاعةَ الله واتّباعَ الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وإبطالَ الشرك -المذكورَيْنِ في المسألة الأولىٰ والثانية- لا يتحقّقان إلَّا بإقامة هذا الأصل.

---

(١) أي بلسان الحال لا بلسان المقال.

والدليل: قوله تعالى: ﴿لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ[١] مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ[٢] وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ[٣] وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.[٤]

[١] **قوله -تعالى-: ﴿يُوَادُّونَ﴾**

المُوَادَّةُ: المُحَابَّةُ، مفاعلة من المحبة، بمعنىٰ أنَّه يُحِبُّ ويُحَبُّ.

[٢] **قوله -تعالى-: ﴿مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾**

أي: مَنْ كان في حدٍّ متميزٍ عن الله ورسوله، وهو حدُّ الكفر، فإنَّ المؤمنين يكونون في حدٍّ، والكافرين يكونون في حدٍّ، وإذا تميَّز كل حزب في حَدٍّ لم يكن بينهم إلَّا العداوة والبغضاء، فإنَّ الله قطع التواصل والتوادُدَ والتوارثَ وغيرَ ذلك من الأحكام والعلائق[(١)] بين المسلمين والكافرين.

[٣] **قوله -تعالى-: ﴿بِرُوحٍ مِنْهُ﴾**

أي: قوَّاهم بنصره، وسمَّىٰ نصرَه إيَّاهم روحـًا، لأنَّه به يحيىٰ أمرُهم.

[٤] **قوله -تعالى-: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُون﴾**.

(١) الروابط الاجتماعية كالمصاهرة وغيرها .

.....

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: (والمفلح الذي ينال المطلوب وينجو من المرهوب).

«مجموع الفتاوىٰ» (٣٥/ ١٧١).

فائدة:

الولاءُ لغةً: مأخوذ من الوَلْي، وهو القرب.

تقول: فلان يَلي فلانـًا، أي يقرب منه، وفي حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (**ألحقوا الفرائض بأهلها، فما بقي فلأولىٰ رجل ذكر**) أي: لأقرب رجل ذكر.

وفي الشرع، الوَلاية: القربُ مع المحبة، فلا وَلاية إلَّا بمحبّة، كما قال ابن القيِّم.

والعداوةُ لغةً: مأخوذة من العَدْو، وهو البعد.

وشرعـًا: البعد مع البغض، فهي عكس الوَلاية تمامـًا.

والآية التي ذكرها المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تدلُّ علىٰ أنَّ موالاةَ الله ورسوله لا تجتمع مع موالاة أعداء الله ورسوله، فإذا حصلت الموالاة معهم دلَّ ذلك علىٰ خللٍ في الإيمان.

فمِنْ شَرْط محبة العبد لله عَزَّوَجَلَّ: أن يوافق الله عَزَّوَجَلَّ فيما يحب وفيما يبغض، والله عَزَّوَجَلَّ يحب التقوىٰ والإيمانَ وأهلَهما، ويُبغض الكفرَ والفسوق والعصيان وأهلَها.

فحقيقة المحبَّة: موافقة المحبوب فيما يُحب، وفيما يُبغض.

إذاً: من أطاع الله وأطاع رسوله ووحَّدَ الله؛ فإنَّه يجب عليه أن يُحِبَّ مَنْ أحبه الله ويُبغضَ من أبغضه الله، كما قال الله -تعالىٰ-: ﴿**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا**

﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة:٤]. فقدَّموا البراءة من المشركين قبل البراءة من معبوداتهم، بدءاً بالأهم فالمهم.(١)

تنبيه:

العداوة والبغضاء للكافرين لا يكفي أن تكون في القلب، بل لابدَّ أن تكون ظاهرة أيضـًا، كما في هذه الآية﴿ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ ﴾، أي: ظهَرَتْ وبانَتْ.

فإنَّ عدم ظهور العداوة والبغضاء للكافرين ضرره كبير، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ:﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ .

---

(١) اليوم تجد كثيراً من المسلمين يبغضون دين اليهودية والنصرانية، لكنهم يحبون بعض اليهود أو بعض النصارىٰ، وربما تشبهوا بهم في لباسهم وفي أمور أخرىٰ من خصوصياتهم... وسبب هذه المخالفة عدم فهمهم للولاء والبراء وكيفية تحقيقه ...

ثالثاً: رسالة ثلاثة الأصول

قال المصنِّف رحمه الله:

اعلم[١] -أرشدك الله لطاعته-[٢] أن الحنيفيّة ملة إبراهيم: أن تعبد الله وحده مخلصًا له الدين[٣]...

---

[١] **قوله:** (اعلم) أي: كُن مُتهيئًا ومُستعداً لِما سيُلقىٰ إليك من العلم، وهذه الكلمة يُؤتىٰ بها عند ذِكر الأشياء المهمة، التي ينبغي علىٰ المتعلّم أن يُصغي إلىٰ ما يُلقىٰ إليه بعدها.

[٢] **قوله:** (أرشدك الله لطاعته) أي: هداك ووفقك وألهمك ما ينفعك .

والطاعة هي: عبادة الله بفعل المأمور واجتناب المحظور .

[٣] **قوله:** (أنَّ الحنيفية ملَّة إبراهيم، أن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين).

سيأتي معنا -إن شاء الله- في درس القواعد الأربع تعريف آخر ذكره ابن القيم رحمه الله.

وهذا تعريف توحيد الألوهية، إذ أنه الغاية من إرسال الرسل، والخلاف الذي حصل بين المرسلين وأممهم إنما كان في هذا التوحيد...

وهي ملة جميع الأنبياء والمرسلين.

.....

= قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران:٦٧].

لماذا أضاف الملة الحنيفية لإبراهيم ولم يضفه لغيره من المرسلين؟

ذكروا أمورًا: **الأول**: أن مشركي قريش والعرب يدَّعون أنهم علىٰ دين إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

الثاني: أن إبراهيم أبو الأنبياء بعده، فموسىٰ وعيسىٰ ومحمد -عليهم الصلاة والسلام- من ذرية إبراهيم الخليل.

الثالث: أنه سنَّ أمورًا هي من شريعتنا كالهدي والأضاحي والختان، والسعي بين الصفا والمروة فعل هاجر أم إسماعيل. وانظر «تنبيه العقول».

قال الإمام ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:(الحنيفُ: هو المقبلُ علىٰ الله المُعرِضُ عمَّا سواه) «جلاء الأفهام» (٢٢٩).

الذي عرَّف الحنيف بأنه المائل عن الشرك، فهذا تعريف باللازم، والصواب ما ذكره ابن القيم.

والعبادة بمفهومها العام هي: الخضوع لله محبَّةً وتعظيمًا بفعل أوامره واجتناب نواهيه علىٰ الوجه الذي جاءت به الشريعة.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ:(فالدِّين الحنيف هو الإقبال علىٰ الله وحده، والإعراض عمَّا سواه، وهو الإخلاص الذي ترجمته كلمة الحقِّ والكلمة الطيِّبة (لا إله إلَّا الله) «مجموع الفتاوى» (٩/ ٣١٩).

وبذلك أمر الله جميع الناس[١]، وخلقهم لها، كما قال تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالأِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ**﴾[١]. ومعنى يعبدون: يوحِّدون، وأعظم ما أمر الله به[١]: التوحيد، وهو إفراد الله بالعبادة...

---

[١] **قوله:** (وبذلك أمر الله جميع الناس)

فما من رسولٍ إلَّا وهو يقول لقومه: ﴿**يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**﴾.

[٢] **قوله -تعالى-:** ﴿**إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ أي: إلَّا ليوحدوني.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقوله: ﴿**اعْبُدُوا رَبَّكُمُ**﴾ أي: أخلصوا له العبادة). «الرَّد على البكري» (٢٧٥).

فهو زبدة الرسالات، وقطب رحاها، وباقي الشرائع مكمِّلات لهذا الأمر العظيم .

فالعبادة تطلق في الشرع ويُراد بها التوحيد، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ**﴾ أي: وحِّدوه.

[٣] **قوله: (وأعظم ما أمر الله به التوحيد)**

لأنَّ التوحيد هو الأصل الذي ينبني عليه الدين كلُّه، ولهذا بدأ به النبي ﷺ دعوته، كما قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (**أُمرتُ أن أقاتل النَّاس حتىٰ يشهدوا أنْ لا إله إلَّا الله..**)، وكذلك الآية التي ذكرها المصنِّف -التي تسمى آية الحقوق العشرة- تدلُّ علىٰ هذا المعنىٰ؛ فإنَّ الله ابتدأ بالأمر بالتوحيد، فذكره قبل غيره من الحقوق.

وأعظم ما نهى عنه: الشرك[١]، وهو دعوة غيره معه.

والدليل: قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً﴾[٢].

[١] **قوله: (وأعظم ما نهىٰ عنه الشرك)**

إذا كان التوحيدُ أعظمَ الأوامر، فهذا يلزم منه أن يكون الشركُ أعظمَ النواهي، ومما يدل علىٰ ذلك الآية المذكورة، فإن الله ابتدأ بالأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك...

وفي الصحيحين عن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبي ﷺ سُئِل: أيُّ الذنب أعظم؟ قال: (**أن تجعل لله نداً وهو خلقك**).

فالحديث صريح بأنَّ الشرك أعظم ما نهىٰ الله عنه وأنَّه أعظم الذنوب.

وفي الحديث الآخر أنَّ رسول الله ﷺ قال: (ألا أُنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلىٰ يا رسول الله، قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين) وكان متكئًا فجلس، فقال: (ألا وقولُ الزُور وشهادة الزور) متفق عليه عن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

[٢] **قوله تعالى: ﴿ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾**

وهي دليل علىٰ أن أعظم ما نهىٰ الله عنه هو الشرك، لأن الله -عز وجل- ذكر في الآية عشرة حقوق، بدأها بالأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك، فالتوحيد أعظم ما أمر الله به، كما أن الشرك أعظم ما نهىٰ الله عنه.

لفظ ﴿ شَيْئًا ﴾ نكرة في سياق النهي، فتفيد العموم، أي: لا تشركوا به شيئًا من الأشياء، من غير فرق بين حي وميت وجماد وحيوان.

قال المصنِّف رحمه الله:

فإذا قيل لك: ما الأصول الثلاثة[١]...

= ومن معناه أيضـًا: لا تشركوا به شيئـًا من الإشراك، من غير فرق بين الشرك الأكبر والأصغر، وبين الواضح الجلي والخفي. «انظر فتح القدير للشوكاني».

فائدة:

التوحيدُ أعظم العدل، والشرك أعظم الظلم.

إنما كان الشرك بالله أعظم الظلم، لأن الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه اللائق به، فكذلك المشرك: صرف العبادة لغير الله، فيكون قد وضع العبادة في غير موضعها اللائق بها، وهذا غاية الظلم وأعظمه، **{إن الشرك لظلم عظيم}.**

المصدر إذا أضيفه يعمل عمل فعله عند النحويين .

[١] قوله: (فإذا قيل لك: ما الأصول الثلاثة)

أورد المصنّف هذه المسألة بصيغة السؤال، لأنَّ هذا أوقع في النفس وأقرب إلىٰ التعليم، ولكي ينتبه القارئ والسامع لهذه المسألة -لأهميتها وعظيم منزلتها-.

وكان المؤلف قد ذكر في رسالة المسائل الأربع هذه الأصول علىٰ طريقة الإجمال، ثم في هذه الرسالة شرع في تفصيل تلك الأصول الثلاثة.

ذكر ذلك في المسألة الأولىٰ عندما قال: الأولىٰ: العلم، وهو معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة.

التي يجب على الإنسان معرفتها[١]؟ فقل: معرفة العبد ربّه، ودينَه، ونبيَه محمدًا ﷺ[٢].

[١] **قوله:** (التي يجب علىٰ الإنسان معرفتها)

لمَّا بيَّن المصنِّف أنَّ جميع الناس مخلوقون للعبادة ومأمورون بها، ذكر أنَّه يجب علىٰ الإنسان معرفة أصول ثلاثة؛ لأنَّه لا يمكن القيام بالعبادة إلَّا بمعرفتها، أي: معرفة المعبود (وهو الله –عز وجل–)، ومعرفة المبلِّغ عن المعبود (وهو رسول الله ﷺ)، ومعرفة كيفية العبادة (وهي الدِّين)، وهذه المعارف الثلاث هي الأصول الثلاثة.

[٢] **قوله:** (فقل: معرفة العبد ربه ودينه ونبيَّه محمد ﷺ).

هذه الأصول الثلاثة دليلها حديث البراء بن عازب الذي فيه أنَّ العبد يُفتن في قبره، يسأل عنها أول نزوله القبر (عندما يتولَّىٰ عنه أصحابه)،... فمن أجاب إجابة صحيحة؛ نجا ونال السعادة الأبدية، ومن لم يجب إجابة صحيحة؛ لم ينجُ وشقي شقاءً أبديًا، وهذا يدلُّ علىٰ أهمية معرفة هذه الأصول.

***

الأصل الأول

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

فإذا قيل لك: من ربك[١]؟...

لأنه لا يستحق العبادة إلا الرب الخالق الرازق المدبر.

[١] قوله: (فإذا قيل لك من ربُّك؟)

هذا شروع في تفصيل الأصول الثلاثة أصلاً أصلاً، فكأنَّه قال: الأصل الأول من الأصول الثلاثة التي يجب معرفتها(فإذا قيل لك: من ربك...؟)

ثمَّ شرع في بيان الأصل الأول، والقارئ إذا عرفها مجملة وعرف أهميتها بقي متشوّقـًا إلىٰ معرفة معانيها وتفاصيلها.

لأن الخلاف الذي حصل بين الرسل وأممهم إنما كان في أمر العبودية، وأنه لا يستحقها إلا الله -عز وجل-، فليس المقصود من هذا السؤال عن الخالق، لأنه أمر لا ينكره المشركون، ولهذا لا يجيب المشرك إذا سئل في قبره ...

[١] قوله: (من ربُّك؟)

أي: مَنْ خالقك ورازقك ومعبودك الذي ليس لك معبود سواه.

فقل ربي الله الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمه[١]، وهو معبودي ليس لي معبود سواه...

[١] **قوله:** (فقل: ربي اللهُ الذي رباني وربىٰ جميع العالمين بنعمه):

معنىٰ الرَّب هو: الذي يربي عبده، فيعطيه خَلْقه، ثمَّ يهديه إلىٰ جميع مصالحه وما ينتفع به أحواله من العبادة وغيرها من المنافع.

ولفظ: (الرَّب) يأتي علىٰ ثلاثة معانٍ: ١- السيد المالك. ٢- الخالق. ٣- المدبِّر.

والرَّب هو الله، وربوبيته هي تربية الخلق بنعمه الظاهرة والباطنة، وإذا كان الله مربّيهم وله الربوبية عليهم؛ فهو المستحقُّ أن يكون معبودَهم، ولهذا قال المصنِّف بعد ذكر ربوبيّة الله الخلق: (وهو معبودي ليس لي معبود سواه).

فائدة:

التربية قسمان:

١- تربية عامَّة لجميع الخلق.

٢- تربية خاصَّة للمؤمنين.

ومراد المصنَّف هنا هو التربية العامَّة، بدليل قوله: (وربّىٰ جميع العالمين).

ثُمَّ ذكر المصنَّف دليل الربوبية والألوهية، فقال: (والدليل قوله -تعالىٰ-: ﴿**الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ فالربوبية في قوله -تعالىٰ-: ﴿**رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾، والألوهية في قوله: ﴿**الْحَمْدُ للهِ**﴾؛ فالحمد كائن له -سبحانه- لأنَّه المألوه المستحقُّ للعبادة.

والدليل: قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[١]. وكل ما سوى الله عالَم، وأنا واحد من ذلك العالم[٢].

فإذا قيل لك: بم عرفت ربك؟ فقل: بآياته[٣] ومخلوقاته، ومن آياته الليل والنهار، والشمس والقمر، ومن مخلوقاته السماوات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهما.

= فالله -عز وجل- يحمد علىٰ إحسانه وإنعامه، ويحمد علىٰ كمالاته وجلاله، فجميع المحامد مستحقة لله رب العالمين.

[١] **قوله:** (العالمين)

أي: أصناف الخلائق (جميع المخلوقات). سواء كان لها مثيل ونظير من جنسها، أو لم يكن.

[٢] **قوله:** (وأنا واحد من ذلك العالم)

أي: وأنا المُجيب: واحد من جملة تلك المخلوقات المربوبة المتعبَّدة بأن يكون اللهُ هو معبودها وحده.

[٣] **قوله:** (فقل: بآياته ومخلوقاته)

مع أنه يُستدل بها علىٰ ربوبية الله واستحقاقه العبادة وحده.

اقتصر المصنِّف علىٰ ذكر الآيات الكونية (المخلوقات)، ولم يذكر الآيات الشرعية؛ لأنَّ النظر إلىٰ الآيات الكونية والاستدلال بها علىٰ وجود الرَّب وتفرده بالربوبية

والدليل: قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.[١]

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.[٢]

= يشترك فيه العالم والجاهل(١)، فإنَّها آيات ظاهرة وجليَّة، ويشترك فيه كذلك المؤمن والكافر، لظهورها وقهرها(٢).

الآيات قسمان: ١- شرعية (الوحي). ٢- مخلوقاته... والآيات تتغير أحوالها، ويظهر للخلق هذا التغير والتبدل بوضوح ...

وهي مخلوقات ثابتة لا يحصل فيها من التغير ما يحصل للشمس والقمر والليل والنهار .

[١] دليل علىٰ أنه قد كان هناك من يسجد للشمس ومن يسجد للقمر.

والرب هو المعبود

---

(١) فالجاهل ينظر فيها ويتدبر ويتفكر فيها فيستدل بها علىٰ وجود الرب وتفرده بالربوبية.

(٢) حتىٰ الكافر لا يستطيع أن ينكر هذه الأمور، لهذا تجد في القرآن الكريم أن الله يذكر المشركين بهذه الآيات المخلوقة العظيمة السماء والأرض، الليل، النهار، الشمس، القمر لأجل أن يلزمهم باستحقاقه العبادة كما أنهم قد أقروا بأنه لا رب إلا الله -عز وجل-.

والدليل[١]: قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾.

قال ابن كثير رحمه الله: الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة.

=[٢] (يغشي): يغطي. (حثيثًا): سريعًا مباشرة. (مسخرات): مذللات. (ألا): أداة تنبي وتقرير. (الخلق): هو الإيجاد، فهو القادر علىٰ أن يخلق ما يشاء. (الأمر): أمره سبحانه وتعالىٰ، وهو كلامه الكوني والشرعي ...

[١] أي: الدليل علىٰ كون الرب هو المستحق للعبادة وحده.

تنبيه:

وافق المصنِّف سياق القرآن في الإخبار عن هذه المخلوقات، فإنَّ أكثر ما يُخبر به عن الشمس والقمر والليل والنهار أنَّه يصفها بالآيات، وأمَّا السماواتُ السبعُ والأرَضونَ السبعُ وما فيهن وما بينهن فإنَّ أكثر ما يُخبر عنهن بوصفهن بالمخلوقات.

قوله: (والرَّبُّ هو المعبود)

أي: والرَّبُّ هو المستحق أن يكون معبوداً، لأنَّه هو المتفرّد بالربوبية، ومن كان ربًّا وجب أن يكون معبوداً.

فالإقرار بالربوبية يستلزم الإقرار بالألوهية، فيكون المصنِّف قد عرَّف معنىٰ (الرَّب) بلازمه، وهو: عبادة الله.

.....

فالمصنِّف لا يريد أنَّ معنىٰ (الرَّب) هو: المعبود، لأنَّ (المعبود) ليس من معاني الرَّب في الوضع اللغوي.

وذكر أهل العلم أنَّ بين معنىٰ (الرَّب) وبين معنىٰ (الإله) دلالة اقتران، أي: أنَّه إذا ذُكر الرب دخل فيه معنىٰ الإله، وإذا ذكر الإله دخل فيه معنىٰ الرَّب، وإذا ذُكرا جميعًا: كان (الرَّب) معناه: السيد الخالق المالك المدبِّر، وكان (الإله) معناه: المعبود.

أي: أنَّـهما اسمان إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا.

ثم ذكر المصنِّف آيةَ سورة البقرة ليبيَّن هذا المعنىٰ، وهو: أنَّ الرَّب هو المعبود.

قوله:(قال ابن كثير – رحمه الله تعالىٰ-: الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة)

نقل المصنِّف كلام ابن كثير بالمعنىٰ.

أنواع العبادة

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأنواع العبادة التي أمر الله بها[١] ...

بعد أن قرَّر المصنِّف أنَّ العبادة واجبة، وأنَّ الرَّب هو المستحق لها وحده؛ شرع بذكر أنواع من العبادة، لِتُعرفَ حقيقة العبادة ومعنىٰ التوحيد.

لما ذكر أن الرب هو الذي يستحق العبادة وحده، ناسب أن يشير إلىٰ أنواع العبادة جملةً (الإسلام، الإيمان، الإحسان)، وتفصيلاً (الدعاء، والنذر... وغير ذلك) لكي يقرر معنىٰ التوحيد، وأنه لا يستحق هذه العبادات إلا الله -عز وجل-، وأن من صرفها لغير الله فقد أشرك.

[١] **قوله:** (وأنواع العبادة التي أمر الله بها)

ذكر المصنِّف أنواعًا من العبادة المأمور بها، ذكرها مُجْملة ومفصَّلةً.

أمَّا الإجمال ففي قوله: (مثلُ: الإسلام والإيمان والإحسان).

وأمَّا التفصيل ففي ما سيذكره من العبادات، كالدعاء والخوف والرجاء والتوكُّل...إلخ.[(١)]

---

(١) لأن الإسلام يشمل عبادات كثيرة، والإيمان والإحسان كذلك .

مثل: الإسلام، والإيمان، والإحسان،[١] ومنه[٢]: الدعاء، والخوف، والرجاء، والتوكل، والرغبة، والرهبة، والخشوع، والخشية، والإنابة، والاستعانة، والاستعاذة، والاستغاثة، والذبح، والنذر، وغيرُ ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها[٣] ...

[١] **قوله:** (مثل: الإسلام والإيمان والإحسان)

سيأتي الكلام عنها مفصلاً في الأصل الثاني -إن شاء الله-.

لأنَّ الكلام عن العبادات وأنواعها موضعه الأصل الثاني أي: دين الإسلام، لكنه قدَّم الكلام هنا عن بعض العبادات لأجل توضيح وتقرير معنىٰ التوحيد.

[٢] **قوله:** (ومنه: الدعاء...)

أي: ومن أنواع العبادات.

[٣] **قوله:** (وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها)

ذكر المصنِّف أربعَ عشْرَةَ عبادة مِمَّا يُتقرَّب بها إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، وذكر مع كلِّ واحدة منها ما يدلُّ علىٰ أنَّها عبادة.

وسيأتي الحديث عن هذه العبادات وما يتعلق بها في شرح كتاب التوحيد -إن شاء الله-.

فائدة:

كيف نعرف أنَّ هذا العمل من العبادات التي أمر الله بها؟

يُعرف العمل بأنَّه من العبادات بأمور، منها:

كلُّها لله تعالى[١].

والدليل: قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُو مَعَ اللَّهِ أَحَداً﴾[٢]، فمن صرف منها شيئا لغير الله فهو مشرك كافر[٣]...

= ١- أن يأمر الشارع بهذا العمل، مثل: دليل الدعاء والخوف والرجاء والتَّوكُّل والخشية والإنابة والاستعانة والاستعاذة.

٢- الثناء علىٰ عاملها، مثل دليل[١] الرغبة والرهبة والخشوع والاستغاثة والنّذر.

٣- ذمُّ الشارع لمن يصرفها لغير الله، مثل: دليل اللعن لمن ذبح لغير الله.

[١] **قوله:** (كلَّها لله تعالىٰ)

لأنَّه لا يستحق العبادة إلَّا الله عَزَّوَجَلَّ.

[٢] **قوله:** (والدليل قوله -تعالىٰ-﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ للهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا﴾)

أي: الدَّليل علىٰ أنَّ العبادة كلَّها لله عَزَّوَجَلَّ. وقوله عَزَّوَجَلَّ:﴿ فَلا تَدْعُوا ﴾ يشمل دعاء المسالة ودعاء العبادة.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ : (دعاء الله المذكور في القرآن نوعان: دعاء عبادة ودعاء مسألة). «مجموع الفتاوىٰ» (٢٢/ ٤٩٨)

[٣] **قوله:** (فمن صرف منها شيئًا لغير الله فهو مشرك كافر)

لأن الشرك الأكبر هو أن يصرف العبد نوعًا من أفراد العبادة لغير الله. السعدي

---

(١) أي: من الأدلَة التي ذكرها المصنّف عند تعداده لبعض أنواع العبادات.

والدليل: قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ . [١]

وفي الحديث[٢]: "الدعاء مخ العبادة"[٣]...

= فكلُّ من عمل عملاً[(١)]، وأراد به التَّقرُّب إلىٰ غير الله فقد وقع في الشرك الأكبر[(٢)].

[١] **قوله تعالى**: ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ﴾

أي: ومن يعبد.

وقوله تعالىٰ: ﴿لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ هذا القيد لا مفهوم له، وإنما هو قيد ملازم كلَّ من دعا غير الله، فهو قيد لبيان الواقع، فكلُّ من دعا غير الله فإنَّه لا برهان له به.

ويسمَّىٰ أيضًا صفة كاشفة، أي: تكشف وتبيِّن حقيقة هذا الشيء، فكلُّ ما عُبد من دون الله، فهذه العبادة له ما أنزل الله بها من سلطان.

ووجه الدلالة أن من دعا مع الله إله آخر فهو كافر .

[٢] هذا شروع في ذكر أدلة العبادات التي ذكرها مفصلة.

[٣] مخ الشيء: خالصه.

(١) أي: مما هو من الطاعات.

(٢) فنحكم عليه بأنه وقع في الشرك الأكبر بأمرين: ١- عمله عباده. ٢- وصرفها لغير الله -عز وجل- .

والدليل: قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾.[١][٢]

[١] (ادعوني): أمر.

[٢] **قوله تعالى**:﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾

الدعاء قسمان:

١- دعاة عبادة، وهو: طلب الثَّواب بفعل ما أمر به الرَّبُّ عَزَّوَجَلَّ.

٢- دعاء مسألة، وهو: سؤال الله في جلب المنافع ودفع المضار.

وعلىٰ هذا: فقوله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ له تقديران (أي: معنيان):

المعنىٰ الأول: ﴿ ادْعُونِي ﴾، أي: دعاء عبادة ﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ أي: أُثِبْكم.

والمعنىٰ الثاني: ﴿ ادْعُونِي﴾، أي: دعاء مسألة ﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ أي: أُعطِكم سُؤْلَكم.

وكلا المعنيين صحيح، وهو في المعنىٰ الأول أظهر، بدليل قوله – تعالىٰ -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾.

تنبيه:

حديث(الدعاء مخ العبادة) رواه الترمذي عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ .

وهو حديث ضعيف، في سنده عبدالله بن لهيعة: ضعيف.

.....

ويغني عنه حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ رسول الله ﷺ قال:« الدعاء هو العبادة». ثم قرأ ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾.

رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه، وهو في الصحيح المسند لشيخنا الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ .

ومعنىٰ ﴿دَاخِرِينَ﴾، أي: صاغرين.

والشاهد منه: أنَّ الدعاء عبادة.

فائدة:

العبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله، ويرضىٰ من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة .

ودليل الخوف: قوله تعالىٰ: ﴿ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.[١]

ودليل الرجاء: قوله تعالىٰ: ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾.

ودليل التوكل: قوله تعالىٰ: ﴿ وَعَلَىٰ اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾. وقال: ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَىٰ اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ .[٢]

ودليل الرغبة، والرهبة، والخشوع: قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾. [٣]

ودليل الخشية: قوله تعالى: ﴿ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ .[٤]

ودليل الإنابة: قوله تعالى:﴿ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾.[٥]

---

[١](**وخافون**): أمر. أمر بالإخلاص والمتابعة، فشرط الرجاء أن يحقق ما أُمر به.

[٢](**فتوكلوا**): أمر.

(**حسبه**): كافيه، فكفاية الله للعبد مشروطة بالتوكل، والعبد لا يستغني عن كفاية الله، فيكون قد أمر بالتوكل علىٰ الله لتحصيل كفاية الله .

[٣](**كانوا**): ثناء.

[٤](**واخشون**): أمر.

[٥](**وأنيبوا**): أمر.

ودليل الاستعانة: قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾. وفي الحديث: "إذا استعنت فاستعن بالله".[١]

ودليل الاستعاذة: قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ ، و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾.[٢]

ودليل الاستغاثة: قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾.[٣]

ودليل الذبح: قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لا شَرِيكَ لَهُ ﴾. ومن السنة: "لعن الله من ذبح لغير الله".[٤]

ودليل النذر: قوله تعالى: ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً ﴾.[٥]

---

[١] رواه الترمذي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

[٢] (**قُلْ أَعُوذُ**): أمر.

[٣] (**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ**): ثناء؛ لأنه رتب عليها إجابة دعائهم .

[٤] (**لعن الله**): ذم الفاعل... الحديث رواه مسلم عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

[٥] (**يُوفُونَ**): ثناء.

***

الأصل الثاني

قال المصنِّف رحمه الله:

(الأصل الثاني):[١] معرفة دين الإسلام بالأدلة[٢]، وهو: الاستسلام لله...[٣]

لمَّا فرغ المصنِّف من بيان الأصل الأول، أتبعه ببيان الأصل الثاني، وهو: معرفة دين الإسلام بالأدلَّة.

[١] **وقوله:** (الأصل الثاني)

أي: من الأصول الثلاثة التي يُسأل عنها العبد في قبره.

[٢] **قوله:** (بالأدلَّة)

ولو لم يحفظها أو يطَّلع عليها .

لمَّا كانت معرفة دين الإسلام كثيرة المسائل، ناسب إعادة ذكر الأدلَّة معها.

[٣] **قوله:** (وهو: الاستسلام لله بالتوحيد)

هذا تعريف للإسلام بمعناه العام الذي دعت إليه جميع الرسل، وهو: إخلاص الدين لله.

وأمَّا المعنىٰ الخاص للإسلام، فله معنيان:

بالتوحيد[١]، والانقياد له بالطاعة[٢]، والبراءة من الشرك وأهله. وهو ثلاث مراتب: الإسلام، والإيمان، والإحسان[٣]...

=**الأول:** ما جاء به محمَّد ﷺ من شرائع وأحكام.

الثاني: الأعمال الظاهرة وفي مقدِّمتها: أركان الإسلام الخمسة؛ فإنَّها تسمَّىٰ إسلامـًا، وهذا المعنىٰ الثاني هو المقصود إذا قُرِن الإسلام بالإيمان والإحسان.

[١] **قوله:** (بالتوحيد)

يشمل جميع أنواع التوحيد (توحيد الربوبية – وتوحيد الألوهية – وتوحيد الأسماء والصفات).

[٢] **قوله:** (والانقياد له بالطاعة)

أي: بفعل المأمور، واجتناب المحظور.

تنبيه:

قول المصنِّف رحمه الله: (والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله) هما من جملة الاستسلام لله، ولكن صرَّح بهما لأهميتهما.

[٣] **قوله:** (وهو ثلاث مراتب: الإسلام والإيمان والإحسان):

فالدين الذي بُعث به محمَّد ﷺ ثلاث مراتب:

الأولىٰ: مرتبة الأعمال الظاهرة، وتسمىٰ: الإسلام.

الثانية: مرتبة الاعتقادات الباطنة، وتسمَّىٰ: الإيمان.

الثالثة: مرتبة إتقانهما، وتسمَّىٰ: الإحسان.

وكل مرتبة لها أركان[١].

= **فائدة**:

مرتبة الإحسان هي مرتبة إتقان مرتبتي الإسلام والإيمان.

[١] قوله: (وكلُّ مرتبة لها أركان)

هذا علىٰ التغليب، وإلَّا فالإحسان ركنٌ واحد.

وركن الشيء:[(١)] جانبه الأقوىٰ الذي يقوم عليه الشيء، ولا يقوم بدونه.

فأركان العبادات هي: جوانبها التي عليها مَبناها، سُمِّيت بذلك تشبيهاً لها بأركان البيت التي لا يقوم إلَّا بها.

***

(١) الركن: جزء من ما هي الشيء، والشرط: أمر خارج عن الشيء .

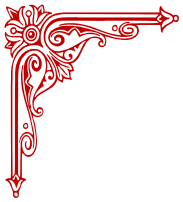
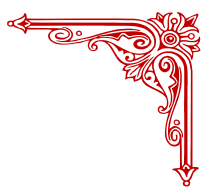

المرتبة الأولى: الإسلام

قال المصنّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

المرتبة الأولى : الإسلام[١]. فأركان الإسلام خمسةٌ[٢]:...

---

[١] **قوله:** (المرتبة الأولىٰ: الإسلام)

والدليل علىٰ أنّ الدِّين الذي يجب اتباعه هو دين الإسلام قوله -تعالىٰ-:﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلامُ﴾.

[٢] **قوله:** (فأركان الإسلام خمسة)

كما في حديث عبدالله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال رسول الله ﷺ:« **بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَىٰ خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ** » متّفق عليه.

الشهادتان متلازمتان، فلا تصح إحداهما إلا بالأخرىٰ. (إخلاص ومتابعة).

وهذه الأركان الخمسة هي أركان الإسلام العظام، التي لا يقوم إلَّا بها[(١)]، ولا يثبت بدونها، فإنْ سقط منها ركن هُدِمَ بناء الإسلام.

---

(١) وبقيت المشروعات مُكمِّلات ومتممات لهذه الأركان .

شهادةُ أن لا إله إلا الله[١]، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام.

فدليل الشهادة: قوله تعالىٰ: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾.[٢] [٣]

ومعناها: لا معبود بحق إلا الله[٤]، " لا إله " نافيًا جميع ما يُعبد من دون الله. " إلا الله " مثبتًا العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته...

---

[١] **قوله:** ﴿ شهادة أن لا إله إلَّا الله ﴾.

الشهادة تتضمَّن الإخبار المبني علىٰ العلم، قال الله -تعالىٰ-﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف:٨٦]، فالشهادة هي: الإخبار بالشيء عن علم به.

[٢] **قوله -تعالى-:** ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾.

أي: الذي يلي العدل بين خلقه، أي: قائماً بالعدل.

[٣] **وقوله -تعالى-:** ﴿ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾.

تأكيد لما سبق.

[١] **قوله:** (ومعناها: لا معبود بحقٍّ إلَّا الله)

أو: لا معبود حق إلَّا الله.

سيتكلم المصنف عن التوحيد وتعريفه لأهمية هذا الموضوع، ولشدة الاختلاف بين من ينتسب للإسلام في معنىٰ التوحيد... أما باقي الأركان فإنما يذكرها بدليلها.

كما أنه لا شريك له في ملكه[١]، وتفسيرها الذي يوضحها[٢]:

=**قال شيخ الإسلام ابن تيميّة** رَحِمَهُ اللَّهُ : (فإنَّ الآلهة موجودة ولكن عبادتها ودعاؤها باطل لا ينفع، والمقصود منها لا يحصل، فهو باطل، واعتقاد ألوهيتها باطل، أي: غير مطابق، واتصافها بالألوهية في أنفسها باطل، لا بمعنىٰ أنَّه معدوم). «مجموع الفتاوىٰ» (٥/٥١٦).

وهذه الشهادة لها ركنان، لا تصح إلَّا بهما:

١- النفي، نفي العبودية عما سوىٰ الله.

٢- الإثبات، إثبات العبودية لله وحده لا شريك له.

كما قال تعالىٰ: ﴿**وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**﴾. والنفي والإثبات هنا يتضمَّن معنىٰ الأمر والنهي[(١)]، فكأنَّه قال: اعبدِ اللهَ، ولا تعبدْ غيره.

[١] قوله : (كما أنَّه ليس له شريك في ملكه)

وهذا من باب الإلزام للمشركين، لأنَّهم يعتقدون أنَّه لا شريك له في ملكه، أي: فيلزمكم أن تُقِرُّوا بأنَّه لا شريك له في عبادته.

[٢] قوله : (وتفسيرها الذي يوضّحها)

أي: وتفسير شهادة (أن لا إله إلَّا الله) الذي يبيِّنها ويوضّحها من القرآن، فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ بيَّنها في كتابه بيانـًا تامًّا في مواضع كثيرة.

ثم ذكر المصنِّف بعض الآيات التي تُفسِّر وتبيِّن معنىٰ (لا إله إلَّا الله).

---

(١) إذا قال: لا عالم إلا محمد، تضمن قوله لك الأمر والنهي، فكأنه قال: استفتِ محمداً ولا تستفت غَيرَه .

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾..[١] [٢] [٣]

[١] قوله – تعالى-: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي... ﴾. (**إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ**): نفي. (**إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي**): إثبات.

قال ابن القيّم رحمه الله :

(فإنَّه لا ولاء إلَّا بالبراءة من كل معبود سواه). «الجواب الكافي»(١/ ١٩٥).

فقول: (لا إله إلَّا الله) يتضمَّن البراءة من جميع الآلهة غير الله.

[٢] قوله: ﴿ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي ﴾

فيه بيان السبب الذي لأجله أفرد رَبَّهُ – سبحانه – بالعبادة وحده، وأبطل عبادة كلِّ ما سواه، هو أن العبادة لا يستحقها إلا الرب الخالق المالك المدبِّر.

فكأنَّه قال: أعبدُ الذي فطرني وحده، فإنَّ الذي تعبدونه من دون الله لم يفطرْكم ولم يخلقْكم.

[٣] قوله -تعالى-: ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ ﴾

قال ابن القيِّم رحمه الله :

(أي: جعل هذه الموالاة لله، والبراءة من كل معبود سواه كلمةً باقية في عقبه يتوارثها الأنبياء وأتباعهم بعضهم عن بعض، وهي كلمة (لا إله إلَّا الله)، وهي التي ورَّثها إمامُ الحنفاء لأتباعه إلىٰ يوم القيامة). اهـ «**الجواب الكافي**»(١/ ١٩٥).

...[١]

وقوله: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ .[٢] [٣]

---

[١] **قوله -تعالى-: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾**

أي: لعلَّهم يتوبون عن عبادة غير الله، ويرجعون إلىٰ هذه الكلمة، ويعملون بوصية إبراهيم لهم بهذه الكلمة العظيمة.

[٢] **قوله -تعالى-: ﴿ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾**

أي: كلمة عدل بيننا وبينكم، والكلمة العدل هي: أن نوحّد الله فلا نعبد غيره، ونبرأ من كل معبود سواه، فلا نشرك به شيئًا. « قاله الطبري في تفسيره».

[٣] **قوله -تعالى-: ﴿ وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ﴾**

أي: لا نتبعه في تحليل شيء أو تحريمه إلَّا فيما حلله الله -تعالىٰ- أو حرَّمه. قاله القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن».

ودليل شهادة أن محمدًا رسول الله: قوله تعالى: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ .[١]

ومعنى شهادة أن محمدًا رسول الله[٢]: ...

=وذُكر هذا المعنىٰ في هذه الآية لأنَّ اليهود والنصارىٰ اتّخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابـًا [(١)] من دون الله، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ**﴾.

[١] قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾.

﴿**مِنْ أَنفُسِكُمْ**﴾ ، أي: منكم، وبِلُغتكم.

﴿ **عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ** ﴾ ، أي: يشقُّ عليه ما يشقُّ عليكم، فالعَنَتُ هو: المشقَّة.

﴿ **حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ** ﴾ ، أي: يحب لكم الخير، ويسعىٰ جهده في إيصاله إليكم، ويكره لكم الشر، ويسعىٰ جهدَه في إبعادكم عنه.

[١] قوله: (ومعنىٰ شهادة أن محمدًا رسول الله)

---

(١) لأن التشريع خاص بالرب، وهو من أمور الربوبية، فمن أطاع مخلوقـًا في تحريم الحلال وتحليل الحرام فقد اتخذه ربًّا، لأنه جعله مُشرِّعـًا، والشارع إنما هو الله وحده، ﴿**شرع لكم من الدين ما وصىٰ به نوح والذي أوحينا إليك ....**﴾.

ذكر المصنِّف في معناها أربعة أمور لابد من اجتماعها، وهي:

طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما عنه نهى وزجر[١]، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع. ودليل الصلاة، والزكاة [(١)]، وتفسير التوحيد[٢]: قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[٣].

طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهىٰ عنه وزجر، وألا يُعبد الله إلَّا بما شرع.

[١] **وقوله:** (واجتناب ما نهىٰ عنه وزجر)

هذا التعبير أبلغ من قول: (وترك ما نهىٰ عنه وزجر)؛ لأنَّ الاجتناب معناه: ترك الشيء، والبعد عن الأسباب الموصلة إليه.

[٢] كرر ذكر التوحيد لأنه مذكور في هذا الدليل، ولأهمية التوحيد

[٣] **قوله:** (دين القيمة)

أي: دين الملَّة القيِّمة، وهي: المستقيمة.

تنبيه:

ركن الصلاة المراد به: الصلوات الخمس المفروضة، وركن الزكاة: المراد به أداء الزكاة الواجبة في المال، وركن الصيام: المراد به صيام شهر رمضان، وركن الحج: المراد به حج البيت مرة واحدة في العمر.

---

(١) وهذه الأركان تفصيلها في كتب الفقه.

ودليل الصّيام: قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَىٰ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة:١٨٣].

ودليل الحجّ: قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران:٩٧]. [١]

[١] وهذه الأركان تفصيلها في كتب الفقه.

***

المرتبة الثانية: الإيمان

لمَّا فرغ المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ من بيان المرتبة الأولىٰ من مراتب الدين -مرتبة الإسلام- ؛ شرع بعد ذلك في ذكر المرتبة الثانية، وهي مرتبة الإيمان.

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

المرتبة الثانية: الإيمان:...

الإيمان لغة: الإقرار بالشيء مع التصديق به.

والإيمان شرعـًا: قول وعمل واعتقاد (اعتقاد بالقلب). وبعضهم يقول: قول وعمل. وهو أيضًا صحيح.

والإيمان في الشرع له معنيان:

١) معنىٰ عام، وهو: الدِّين الذي بُعث به محمَّد ﷺ ، فإنَّه يسمىٰ إيمانـًا، فيُقال: هذا مؤمن، أي: مؤمن بالدِّين الذي جاء به رسول الله ﷺ.

٢) معنىٰ خاص، وهو: الاعتقادات الباطنة، فإنَّها تسمَّىٰ إيمانـًا، وهذا المعنىٰ الثاني هو المقصود إذا قُرِنَ الإيمان بالإسلام، وإذا انفرد دلع كل اسم منهما علىٰ مجموع الأمرين.

وهو بضع وسبعون شعبة[١]:

[١] **قوله:** (بضع وسبعون شعبة)

كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الرواية المحفوظة هي رواية: (بضع وستُّون شعبة) رواها البخاري في صحيحة،

ورواه مسلم بلفظ: (بضع وسبعون)، وفي رواية أخرىٰ عند مسلم: (بضع وستُّون أو وسبعون شعبة).

والبِضْع هو: ما بين الثلاثة إلىٰ التسعة.

وشعب الإيمان هي: خصاله وأجزاؤه الجامعة له، وهي إمَّا شُعَبٌ قولية أو عملية أو قلبية.

وهذا الحديث يدلُّ علىٰ تعريف الإيمان، فإنَّه قد جمع أنواع شعب الإيمان:

فالقولية؛ كقول: لا إله إلَّا الله.

والعملية؛ كإماطة الأذىٰ عن الطريق.

والقلبية؛ كالحياء.

تنبيه:

قول (لا إله إلَّا الله) شعبة قلبية أيضـًا.

قوله: (وأركانه ستَّة)

كما في حديث جبريل -عليه السلام- الذي سيأتي ذكره -إن شاء الله- في المرتبة الثالثة.

فأعلاها[(١)] قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان.

وأركانه ستة: أن تؤمن بالله[١]...

= والآيتان اللَّتان ذكرهما المصنِّف، تدلَّان بمجموعهما علىٰ أركان الإيمان الستة.

فائدة:

ما هو الجمع بين حديث أبي هريرة (الإيمان بضع وستُّون شعبة) وبين حديث جبريل الذي فيه أنَّ أركان الإيمان ستّةٌ؟

والجواب هو: أنه إذا أُريد بالإيمان: العقائد، فهو ستة أصول.

وإذا أُطلق الإيمان وأُريد به الأنواع والأجناس والأفراد، فهو بضع وستُّون شعبة، هي أصول شعب الإيمان، وكلُّ شعبة يتفرَّع عنها تفرُّعات كثيرة.

[١] قوله: (أن تؤمن بالله)

بدأ به لأن الإيمان بالله أصل كل شيء، وهو أمر فطري، ولا يصح الإيمان بباقي الأركان إلا إذا صح الإيمان بهذا الركن.

قال شيخ الإسلام: (كما أنَّهم مفطورون علىٰ الإقرار بالخالق، فإنَّهم مفطورون علىٰ أنَّه أجلُّ وأكبر وأعلىٰ وأعظم وأكمل من كلِّ شيء). «مجموع الفتاوىٰ» (٦/ ٧٢).

والإيمان بالله يتضمَّن أربعة أمور:

---

(١) دليل علىٰ أن شعب الإيمان تتفاضل.

وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، والدليل على هذه الأركان الستة: قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُم قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾.[١][٢]

١- الإيمان بوجوده سبحانه.

٢- الإيمان بربوبيته.

٣- الإيمان بألوهيته.

٤- الإيمان بأسمائه وصفاته.

[١] قوله -تعالى-: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ﴾.

البرُّ هو: طاعة الله بامتثال أمره واجتناب نهيه.

والفرق بين البرّ وبين التقوىٰ: أنَّهما إذا افترقا اجتمعا، وإذا اجتمعا افترقا، أي: يكون البر معناه: فعل الطاعة، والتقوىٰ معناها: اجتناب المعاصي.

ومعنىٰ الآية: ليس البرَّ أن تولُّوا وجوهكم جهة من الجهات من غير أمرٍ من الله، ولكن البرَّ هو أن تُطيعوا الله عَزَّوَجَلَّ، فإذا أمركم بأمر، وجب عليكم امتثال أمره، فهذا هو البر، فإذا أمركم باستقبال بيت المقدس في الصلاة، فالبرُّ في ذلك الوقت هو استقبال بيت المقدس، لأنَّه طاعةٌ لله، ثُمَّ إذا أمركم أن تستقبلوا الكعبة، فالبرُّ في ذلك الوقت هو استقبال الكعبة، فالبرُّ يدور مع أمر الله عَزَّوَجَلَّ.

[١] قوله -تعالى-: ﴿وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾.

ودليلُ القدر: قوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾.[١]

سُمِّي باليوم الآخِر؛ لأنَّه بعد اليوم الأول، وهو يوم الدنيا، فالدنيا هي اليوم الأول، والقيامة وما بعدها هي اليوم الآخِر.

[١] قوله -تعالى-: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾.

قال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره: أي: (ما خلقناه فمقدورٌ ومكتوب في اللوح المحفوظ). اهـ

تنبيه:

أهم ما ينبغي تعلُّمه في أركان الإيمان الستَّة هو: معرفة القدر الواجب المُجزئ من الإيمان بكل ركن منها، مِمَّا يجب علىٰ العبد ابتداء، ولا يسعه جهله، فلا يصح إيمان العبد إلَّا به، وما نراد عن ذلك فلا يجب إلا علىٰ من بلغه الدليل.

فالقدر الواجب المجزئ من الإيمان بالله هو: الإيمان بوجوده ربًّا مستحقًّا للعبادة، له الأسماء الحسنىٰ والصفات العُلا.

والقدر الواجب المجزئ من الإيمان بالملائكة هو: الإيمان بأنَّهم خَلْق من خلق الله عَزَّوَجَلَّ، وأنَّ منهم من ينزل بالوحي علىٰ الأنبياء بأمر الله، ومن علم بأن الذي ينفخ في الصور هو إسرفيل، صار هذا العلم في حقه واجبًا، لأن الدليل قد بلغه.

والقدر الواجب المجزئ من الإيمان بالكتب هو: الإيمان بأنَّ الله أنزل علىٰ من شاء من الرُّسل كتبًا هي كلامه عَزَّوَجَلَّ ليحكموا بين الناس فيما اختلفوا فيه، وأنَّها كُلَّها نُسخت بالقرآن.

.....

والقدر الواجب المجزئ من الإيمان بالرسل هو: الإيمان بأنَّ الله أرسل إلىٰ الناس رسلاً منهم؛ ليأمرهم بعبادة الله، وأنَّ خاتمهم هو محمَّد ﷺ.

والقدر الواجب المجزئ من الإيمان باليوم الآخر هو: الإيمان بالبعث في يوم عظيم هو يوم القيامة، لمجازاة الخلق بأعمالهم، فمن أحسن فله الحسنىٰ (الجنَّة)، ومن أساء فجزاؤه النار، فهي ثلاثة أمور:

١- البعث بعد الموت.

٢- الحساب.

٣- الجزاء، إما الجنة وإما النار.

والقدر الواجب المجزئ من الإيمان بالقدر هو: الإيمان بأنَّ الله قدَّر كُلَّ شيء، من خير وشر أزلًا [١]، ولا يكون شيء في هذا الكون إلَّا بمشيئته وخلقه.

***

(١) أزلا، أي: في الزمن الماضي.

المرتبة الثالثة: الإحسان

بعد أن فرغ المصنِّف من الكلام عن المرتبة الثانية -الإيمان-، شرع في الكلام عن المرتبة الثالثة، وهي مرتبة الإحسان.

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

المرتبة الثالثة[١]: الإحسان، وله ركن واحد[٢]، وهو: "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك".

---

[١] **قوله:** (الثالثة)

أي: من مراتب الدين.

والإحسان لغة: الإتقان، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ **الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ** ﴾، وهو قسمان: ١- إحسان مع الخلق. ٢- إحسان مع الخالق، وهو المراد في هذه المرتبة.

فالإحسان مع الخلق هو: مرتبة إتقان الأعمال الظاهرة والاعتقادات الباطنة.

قال ابن القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ: (وجعل النَّبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إحسان العبودية أعلىٰ مراتب الدِّين). «مدارج السالكين» (١/ ١٠٣).

[٢] **قوله:** (وله ركن واحد)

أي: شيءٌ واحد، لأنَّ الركن لا يكون إلّا متعدداً، فالمراد هنا: الشيء نفسه.

....

والإحسان مع الخالق مقامان[١]:

المقام الأول: (أن تعبد الله كأنَّك تراه):

ويسمَّىٰ مقام المشاهدة والحضور في القلب، أي: يبلغ به اليقين والإيمان بالله كأنه يشاهد الله عيانـًا، لا يشك ولا يتردد في ذلك، بل كأن الله أمامه يراه عيانـًا (أي: يراه بقلبه حتىٰ كأنه يراه بعينيه).

والمقام الثاني: (فإن لم تكن تراه فإنَّه يراك):

ويسمَّىٰ مقام الإخلاص والمراقبة.

والمقام الأول أعلىٰ؛ فإنَّه يتضمَّن المقام الثاني وزيادة.

وإذا حقق العبد المقام الثاني، سَهُل عليه الانتقال إلىٰ المقام الأول، فَمَن عبدَ الله عَزَّوَجَلَّ وهو علىٰ علم ويقين أنَّ الله مطَّلع عليه وعالم بحاله ويراه، فهذا يُعينه ويدفعه إلىٰ إحسان وإتقان العمل والعبادة.

فائدة:

إذا حقق العبد المقام الثاني[٢]؛ فإنَّ ذلك يوجب له الخوف والخشية من الرَّب -سبحانه وتعالىٰ-، فيعبد الله عَزَّوَجَلَّ عبادة خوف وخشية وهرب.

---

(١) ويصح أن تقول درجتان أو مرتبتان .

(٢) مقام من عبد الله عبادة خائفٍ منه هاربٍ من عذابه وعقابه.

والدليل قولُه تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾.(١) [١]

وإذا حقق المقام الأول(٢)؛ فإنَّ ذلك يورثه محبَّةَ الله عَزَّوَجَلَّ والشوقَ إلىٰ لقاءه وطلب مرضاته، فيعبد الله عَزَّوَجَلَّ عبادة شوق ومحبَّة وطلب.

[١] قوله -تعالى-: ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾

وهذه المعيَّة: معيَّة نصر وتأييد وحفظ وتوفيق للمحسنين، سواء لمن حقّق المقام الأول أو حقّق المقام الثاني، فكُلُّهم محسن في عبادته لله عَزَّوَجَلَّ.

فهذه الآية دليل علىٰ فضل الإحسان.

فائدة:

معيَّة الله للخلق قسمان:

١- معيَّة عامَّة، وهي: معيَّة العلم والإحاطة، أي: أنَّ الله عليم بأحوال عبده مطَّلع عليه، لا يخفىٰ عليه شيءٌ من أمر عبده.

وهذه المعيَّة شاملة لجميع الخلق.

٢-معيَّة خاصة، وهي: معيَّة النصر والتأييد والحفظ، وهي المقصودة في الآية السابقة.

---

(١) دليل فضل الإحسان، .

(٢) مقام من عبد الله عبادة شوق ومحبة، فهذه العبادة يجد الشخص من نفسه حثًّا عليه، لأنه يطلب هذا الذي يحبه، فهو يعبده كأنه يراه، فيقصده وينيب إليه، ويتقرب إليه سبحانه. بمعناه من شرح العثيمين علىٰ الأربعين .

وقولُه: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[1] [١]، وقوله: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾.[٢]

[١] **قوله -تعالى-: ﴿ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴾**

هذه الآية تدلُّ علىٰ معنىٰ المقام الثاني من مقامات الإحسان، (أي: مقام الإخلاص والمراقبة).

[٢] **قوله -تعالى-: ﴿ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾**

وهذه الآية تدلُّ أيضاً علىٰ معنىٰ المقام الثاني من مقامات الإحسان.

فقوله: ﴿ إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ أي: شرعتم تباشرونه وتعملونه.

فمن استحضر معنىٰ هذه الآية وكذا الآية التي قبلها في جميع شئونه فقد بلغ مرتبة الإحسان في عبادة ربِّه.

وبعد أن ذكر الشيخ أدلَّة كل مرتبة من القرآن، ذكر بعد ذلك دليل هذه المراتب الثلاث من السنَّة، فذكر حديث جبريل -عليه السلام-.

---

(١) أدلة مقامات الإحسان.

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

والدليل من السنة[١]: حديث جبرائيل[(١)] المشهور[(٢)]: عن عمر رضي الله عنه قال: "بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل، شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرَى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد، أخبرني عن الإسلام؟.

قال: "الإسلام: أن تشهد أن لا إلٰه إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا"،. فقال: صدقت. قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه. قال: فأخبرني عن الإيمان؟. قال: "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره".[١]

---

[١] **قوله:** (والدليل من السنَّة)

أي: والدليل علىٰ مراتب الدين الثلاث المطلوب معرفتها، مع ما قصده المصنِّف من كون حديث جبريل دليلاً علىٰ مرتبة الإحسان.

[٢] **قوله:** (وتؤمن بالقدر خيره وشرِّه)

إعادة لفظ (تؤمن) عند ذكر القدر للاهتمام بشأن الإيمان بالقدر.

---

(١) رواه مسلم، وهذا لفظه، وهو في الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) قال القرطبي: هذا الحديث يصلح أن يقال له أم السنة، لما تضمنه من جُمَل علم السنة. فتح الباري (١/ ١٢٥)

قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان؟. قال: "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك". قال: فأخبرني عن الساعة؟[١]. قال: "ما المسئول عنها بأعلمَ من السائل". قال: فأخبرني عن أماراتها؟. قال: "أن تلد الأمةُ ربتها[(١)]، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاءَ الشاء يتطاولون في البنيان". قال: ثم انطلق، فلبثتُ مليًّا. ثم قال: (يا عمر، أتدري من السائل؟)، قلت: اللهُ ورسوله أعلم. قال: (فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم)[٢].

---

[١] **قوله:** (فأخبرني عن الساعة)

قال القرطبي: (سُمِّيت القيامة بالساعة لسرعة الحساب فيها)[(٢)]. «الجامع لأحكام القرآن» سورة الأنعام: [٣١].

[٢] **قوله:** (فإنَّه جبريل أتاكم يعلِّمكم)

هذا دليل علىٰ أهمية هذه العلوم فينبغي علىٰ المسلمين أن يتعلَّموا هذا الحديث ويُعلِّموه، فإنَّ جميع العلوم والمعارف لا تخرج عن هذا الحديث، وعمَّا دلَّ عليه مجملاً ومفصَّلاً.

---

(١) أحسن ما ذُكر في معناها: كثرة الإيماء في آخر الزمان...، وإن كان هذا الأمر موجوداً زمن رسول الله ﷺ، لكنه ليس بالكثرة التي ستكون آخر الزمان...

(٢) أي: أن الحساب يكون في ساعة ﴿إن الله سريع الحساب﴾ .

.....

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: (... فانحصرت العلوم الشرعية التي يتكلَّم عليها فِرَقُ المسلمين في هذا الحديث، ورجعت كُلُّها إليه، ففي هذا الحديث وحده كفاية، ولله الحمد والمنَّة...) وانظر باقي كلامه في «جامع العلوم والحكم» عند شرح الحديث الثاني ((حديث جبريل)).

قوله: (يعلِّمكم دينكم)

فسمَّىٰ هذه المراتب الثلاث دينـًا.

وفي هذا الحديث أنَّ السائل قد يكون معلِّمـًا لغيره بسؤاله أهل العلم والمعرفة.

***

الأصل الثالث

بعد أن فرغ المصنِّف من الكلام عن الأصل الثاني شرع في الكلام عن الأصل الثالث من الأصول الثلاثة التي يُسأل عنها العبدُ في قبره.

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

الأصل الثالث: معرفة نبيكم محمدٍ ﷺ، وهو: محمدُ بنُ عبد الله بنِ عبد المطلب بن هاشم، وهاشم من قريش، وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

قوله: (معرفة نبيِّكم محمَّد ﷺ)

فلا بدَّ من معرفة من أرسله الله إلينا في تبليغ هذا الدِّين، فليس كُلُّ من قال: (إنَّه رسول الله) يُصدَّق، بل لا بدَّ من وجود علامات وآيات تدلّ علىٰ صدقه في قوله: (إنّه رسول الله).

*- سؤال: ما هو القدر الواجب في معرفة النَّبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ علىٰ الأعيان؟

القدر الواجب يُرجع إلىٰ أربعة أمور:

١- معرفة اسمه الأول (محمَّد)، دون بقيَّة النسب؛ لأنَّ الجهل باسمه علامة علىٰ الجهل بشخصه ووصفه وما بُعث به إلينا.

وله من العمر ثلاث وستون سنة، منها أربعون قبل النبوة، وثلاث وعشرون نبيًا رسولًا. نُبِّئَ بـ ﴿ اقْرَأْ ﴾، وأُرْسِلَ بالمدثر، وبلده مكة، وهاجر إلى المدينة...

٢- معرفة أنَّه عبدُ الله ورسولُه، وأنَّه خاتم الأنبياء والمرسلين.

قال العلَّامة ابن نُجيم الحنفي: (إذا لم يعرف -المُكَلَّف-أنَّ محمَّداً آخر الأنبياء، فليس بمسلم؛ لأنَّه من الضروريات).«الأشباه والنظائر» لابن نجيم الحنفي ٢١٥)

٣- معرفة أنَّه جاء بالبيِّنات والهدىٰ ودين الحق.

٤- معرفة أنَّ الذي دلَّ علىٰ صدقة وثبتت به رسالته هو القرآن الكريم كلامُ الله.

فيجب علىٰ المسلم أن يعتقد هذه الأمور، وإن لم يدرِ أنها راجعة إلىٰ أربعة أمور.

قوله: (وله من العمر ثلاث وستُّون سنة)

كم في الصحيحين عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: (بُعث رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لأربعين سنة، فمكث بمكَّة ثلاث عشرة سنة يوحىٰ إليه، ثمّ أُمِرَ بالهجرة، فهاجر عشر سنين، ومات وهو ابن ثلاث وستِّين).(خ ٣٩٠٢) (٢٣٥١).

قوله: (نبي بـ﴿ اقْرَأْ ﴾).

أي: بالخمس الآيات الأولىٰ من سورة العلق.

قوله: (وأرسل بـ﴿ الْمُدَّثِّرُ ﴾)

أي: بالسبع الآيات الأولىٰ من سورة المدَّثِّر، التي تضمَّنت أمرَه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بنِذارة قوم مخالفين، فصار بهذا الوصف رسولاً.

بعثه الله بالنذارة عن الشرك، وبالدعوة إلى التوحيد.

تنبيه: قوله هذا مبني علىٰ أن الفرق بين النبي والرسول، هو أن الرسول مأمور بالتبليغ، والنبي لم يؤمر به، وهذا التفريق غير صحيح، والفرق بين النبي والرسول هو أن الرسول يرسل إلىٰ قوم مخالفين لدعوته، والنبي يرسل إلىٰ قوم موافقين له في دعوته فيحكم بينهم أو يحيي ما قد تُرك وانطمس من تلك الشريعة.

فائدة:

وحي البعث الذي يصطفي به الله من يشاء من عباده نوعان:

١-وحي نُبوَّة.

٢-وحي رسالة، وهي درجة أعلىٰ من النبوَّة.

قوله: (وبلده مكَّة)

أي: بلده التي ولد فيها، ونشأ بها: مكَّة، ثم هاجر إلىٰ المدينة.

قوله: (بعثه الله بالنِّذارة)

النِّذارة هي: الإعلام مع التخويف، أي: عكس البشارة.

قوله: (بعثه الله بالنِّذارة عن الشرك، وبالدعوة إلىٰ التوحيد).

سبق معنا أنَّ جميع الأنبياء والمرسلين كانت دعوتهم إلىٰ تحقيق توحيد الألوهية، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾.

والدليل: قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ* قُمْ فَأَنْذِرْ *وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ * وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾، ومعنى: ﴿ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾: ينذر عن الشرك، ويدعو إلى التوحيد. ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ ، أي: عظّمه بالتوحيد. ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ ، أي: طهر أعمالك عن الشرك.[1] ﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ ، الرجز: الأصنام، وهجرها: تركها، والبراءة منها وأهلها.

قوله : (والدليل)

أي: علىٰ أنَّه بُعث بالنِّذارة عن الشرك، والدعوة إلىٰ التوحيد.

قوله تعالى:﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾.

أي: طهِّر نفسك من الذنب، فَكَنَّىٰ عن النفس بالثوب، هذا قول قتادة ومجاهد وإبراهيم النخعي والضَّحاك والشعبي والزهري والمحققين من أهل التفسير.

«مدارج السالكين» (٢/ ٢٠) بتصرُّف.

قوله : (الرجز: الأصنام)

هذا المعنىٰ أخص، والمعنىٰ العام للرجز: جميع المعاصي.

---

(١) وغيره من الذنوب .

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ :

أخذ على هذا عشر سنين يدعو إلى التوحيد. وبعد العشر عُرج به إلى السماء، وفرضت عليه الصلوات الخمس، وصلى[1] في مكة ثلاث سنين، وبعدها أُمر بالهجرة إلى المدينة.

والهجرة: الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام...

قوله : (أخذ علىٰ هذا عشر سنين... ثلاث سنين)

قول المصنِّف هذا بناءً علىٰ قول من يقول: إنَّ الإسراء والمعراج كان قبل الهجرة بثلاث سنين.

قوله : (عُرج به إلىٰ السماء)

أي: عُرج به بروحه وجسده يقظةً لا منامًا.

قوله : (وبعدها أُمِر بالهجرة)

وذلك لمّا اشتدّ عليه أذىٰ قريش، فأذن الله له بالهجرة.

قوله : (والهجرة: الانتقال)

الهجرة لغة: التَّرك.

وشرعًا: لها معانٍ، منها ما ذكره المصنِّف هنا.

---

(١) أي: الصلوات الخمس.

والهجرة فريضة على هذه الأمة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، وهي باقية إلى أن تقوم الساعة.

=ومن معاني الهجرة شرعـًا: ترك المعاصي، كما في حديث عبدالله بن عمرو –رضي الله عنهما– أنَّ رسول الله ﷺ قال: (والمهاجر من هجر ما نهىٰ الله عنه). متَّفق عليه.

ويجمع هذين المعنيين قولُه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: (إنَّ الهجرة خَصلتان، إحداهما: أن تهجر السيئات، والآخرة: أن تهاجر إلىٰ الله ورسوله). رواه أحمد والطبراني من حديث عبدالرحمن بن عوف وعبدالله بن عمرو ومعاوية أبي سفيان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وإسناده حسن.

قوله: (والهجرة فريضة)

الهجرة واجبة بشرطين:

١–عدم الاستطاعة علىٰ إظهار الدِّين في بلاد الكافرين.

٢–القدرة علىٰ الهجرة.

فائدة:

إظهار الدِّين يتحقق بأمرين:

الأول: إعلان شعائره الظاهرة (أي: الجهر بها)، كالصلاة والأذان والصيام.

الثاني: إبطال دين المشركين الذي عليه أهل ذلك البلد، وذلك ببيان ضلالهم والتصريح بعداواتهم والبراءة منهم.

والدليل: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُوراً ﴾.(١/٠/٠) وقوله تعالى: ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴾ قال البغوي رحمه الله تعالى: نزلت هذه الآية في المسلمين الذين بمكة، ولم يهاجروا، ناداهم الله باسم الإيمان. والدليل على الهجرة من السنة: قوله ﷺ: "لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة..

قوله: (قال البغوي)

ذكر المصنِّف قول البغوي بالمعنىٰ؛ فإنَّ البغوي نقل كلام بعض المفسِّرين في تفسير هذه الآية.

---

(١) ظالمي: بمعصية الإقامة بين المشركين . / / / فتهاجروا إلىٰ أرض أخرىٰ تأمنوا فيها علىٰ دينكم . / / / كالمريض أو الكبير أو الذي قد ضيق عليه فلا يستطيع الهروب من المشركين. / / / هذا من نصوص الوعيد لأنهم تركوا واجبًا من واجبات الدين. / / / أي: لا يعرفون الطريق الموصل إلىٰ البلد البلاد التي يريدون الهجرة إليه .

ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها".

=ولم يثبت أنَّ هذه الآية نزلت في المسلمين الذين كانوا بمكَّة ولم يهاجروا، فالآية شاملة لكل مسلم بقي بين المشركين والكافرين، ولم تنزل في المستضعفين الذين كانوا بمكة.

قوله: (والدليل علىٰ الهجرة من السنة)

أي: والدليل علىٰ بقائها واستمرارها، فذكر المصنِّف هذا الحديث وهو عن معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه ضعف، ولكن يشهد له ما رواه أحمد والطبراني من حديث معاوية وعبدالرحمن بن عوف وعبدالله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أنَّ رسول الله ﷺ قال: (ولا تنقطع الهجرة ما تُقبِّلت التوبة، ولا تزال التوبة مقبولة حتَّىٰ تطلع الشمس من المغرب، فإذا طلعت طُبع علىٰ كُلِّ قلب بما فيه، وكُفِيَ الناسُ العمل). وإسناده حسن. فيكون الحديث حسناً لغيره.

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ :

فلما استقر بالمدينة أُمر ببقية شرائع الإسلام، مثل: الزكاة، والصوم، والحج، والجهاد، والأذان، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وغير ذلك من شرائع الإسلام.

أخذ على هذا عشر سنين، وبعدها توفي -صلوات الله وسلامه عليه-، ودينه باقٍ. وهذا دينه، لا خير إلا دل الأمة عليه، ولا شر إلا حذرها منه. والخير الذي دل عليه: التوحيد، وجميع ما يحبه الله ويرضاه.

والشر الذي حذر منه: الشرك وجميع ما يكرهه الله ويأباه. بعثه الله إلى الناس كافة. وافترض الله طاعته على جميع الثقلين: الجن والإنس.

قوله: (بعثه الله إلىٰ النَّاس كافَّة)

وهذا من خصائصه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، كما قال: (أُعطيتُ خمسـًا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي)، وذكر منها: (وكان النبيُّ يُبعث إلىٰ قومه خاصَّة، وبُعثتُ إلىٰ النَّاس كافَّة). متَّفق عليه عن جابر بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: (وأُرسلت إلىٰ الخلق كافَّة)، فيدخل فيهم الجن. وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾

والدليل: قولُه تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً﴾، وأكمل الله به الدين، والدليل: قولُه تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً﴾. والدليل على موته ﷺ: قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُون ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾، والناس إذا ماتوا يبعثون، والدليل: قولُه تعالى: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾. وقولُه تعالى: ﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً﴾ ، وبعد البعث محاسبون ومجزيون بأعمالهم، والدليل: قوله تعالى: ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾، ومن كذب بالبعث كفر، والدليل: قوله تعالى: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

قوله –تعالى-: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾.

نزلت هذه الآية في حجَّة الوداع، يوم الجمعة، ورسول الله ﷺ واقف بعرفة.

قوله: (ومن كذَّب بالبعث كفر)

لأنَّه كذَّب بركن من أركان الإيمان الستة، وهو الإيمان باليوم الآخر، فإنَّه لا يصح الإيمان به إلَّا إذا آمن العبد بأنَّه مبعوث بعد الموت، وآمن بالجزاء علىٰ الأعمال.

ولمَّا فرغ المصنِّف من بيان ما يتعلَّق ببعثة رسولنا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ذكر قاعدة كُلِّيَّة في بعث الرسل، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

وأرسل الله جميع الرسل مبشرين ومنذرين، والدليل: قوله تعالى: ﴿ رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾،(١) وأولهم: نوح -عليه السلام-، وآخرهم: محمد ﷺ، وهو خاتم النبيين ولا نبيَّ بعده..

قوله : (مبشِّرين ومنذرين)

هذه هي وظيفة الرُّسل، البِشارة والنِّذارة.

البشارة لمن أطاعهم بالفلاح في الدنيا والآخرة.

والنِّذارة لمن عصاهم بالخسران في الدنيا والآخرة.

قوله : (وهو خاتم النبيين، ولا نبي بعده)

كما في الصحيحين عن سعد بن أبي وقاص وأبي هريرة -رضي الله عنهما- أنَّ رسول الله ﷺ قال: (لا نبيَّ بعدي). وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: (وخُتم بي النبيُّون). وقد أجمع المسلمون علىٰ ذلك.

فائدة:

عيسىٰ ابن مريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إذا نزل في آخر الزمان، إنما يحكم بشريعة محمَّد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فهو من أمته بإجماع المسلمين.

---

(١) هذه إحدىٰ الحكم من بعث الرسل، ومن الحكم: ١- رحمة العالمين. ٢- تحقيق العبودية لله -عز وجل- .

والدليل على أن أولهم نوح -عليه السلام-: قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾. وكل أمة بعث الله إليها رسولًا من نوح إلى محمد يأمرهم بعبادة الله وحده، وينهاهم عن عبادة الطاغوت، والدليل: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ .

قوله -تعالىٰ-: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ﴾.

تقديم ذكر نوح بابتداء الوحي إليه دلالة علىٰ أنَّه أول الرسل، وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، في حديث الشفاعة الطويل، وفيه أنَّ آدم عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ يقول: (ائتوا نوحًا أول رسول بعثه الله إلىٰ أهل الأرض).

الإيحاء إلىٰ نوح إيحاء رسالة، فهو أول رسول إلىٰ أهل الأرض بإجماع المسلمين، والإيحاء إلىٰ آدم إيحاء نبوة، فهو أول نبي .

قوله -تعالىٰ-: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾

دلَّت الآية علىٰ أمرين:

الأول: عموم بعثة الرسل في الأمم، فما من أمَّة إلا خلا فيها نذير.

الثاني: بيان ما دعت إليه الرسل، وهو الأمر بعبادة الله، واجتناب الطاغوت.

والطاغوت: من الطُغيان وهو مجاوزة الحد، لكنَّه للكثرة، مثل: ملكوت وجبروت ورحموت ونحو ذلك.

وافترض الله على جميع العباد الكفر بالطاغوت والإيمان بالله.

=**والطاغوت شرعًا له معنيان:**

الأول: معنىٰ خاص، وهو الشيطان، فإذا أطلق (الطاغوت) في القرآن، كان هذا المعنىٰ هو المراد.(١)

الثاني: معنىٰ عام: وهو المقصود بقول ابن القيِّم : كُلُّ ما تجاوز به العبد حدَّه من متبوع أو معبود أو مطاع. «إعلام الموقعين»

قوله : (وافترض الله علىٰ جميع العباد الكفر بالطاغوت)

لا يتم الكفر بالطاغوت إلَّا بستَّة أمور:

١-اعتقاد بطلان عبادة غير الله.

٢-ترك عبادتها بقلبه وجوارحه ولسانه.

٣-بغضها بالقلب وتقبيحها باللسان، أي: بيان أنَّها لا تضر ولا تنفع.

٤-تكفير أهلها.

٥-معاداة الذين يعبدونها، ظاهراً وباطنًا، بالقلب والجوارح.

٦-إزالة هذه الآلهة باليد عند القدرة.

---

(١) وكان فعله المذكور معه للجميع؛ كقوله تعالىٰ: ﴿**والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلىٰ الظلمات**﴾.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: الطاغوت: ما تجاوز به العبدُ حدّه مِن معبود[١]، أو متبوع[٢]، أو مطاع[٣]. والطواغيت كثيرة، ورؤوسهم خمسة: إبليس لعنه الله...

=وكل هذه الستَّة كان عليها نبيُّ الله إبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، كما دلَّ علىٰ ذلك القرآن الكريم.

قوله: (ما تجاوز به العبد حدَّه)

أي: قَدْرَهُ الذي ينبغي له في الشرع.

قوله: (والطواغيت كثيرة)

أي: إذا عرفت معنىٰ الطاغوت علىٰ ما ذكره ابن القيِّم في تعريف الطاغوت، تبيَّن لك أن الطواغيت كثيرة جداً.

قوله: (ورءوسهم)

أي: كبراؤهم وأعظمُهم شراً وأشدُّهم خطراً.

قوله: (إبليس لعنه الله)

قال القرطبي: وإبليس وزنه إفْعيل، مشتقٌّ من الإبلاس، وهو اليأس من رحمة الله.

---

(١) كالأصنام وكل ما عُبد من دون الله، فهذا طاغوت عبادة .

(٢) كالكهان والسحرة وعلماء السوء، وهذا طاغوت حكم .

(٣) كالأمراء الخارجين عن طاعة الله عز وجل، وهذا طاغوت طاعة. فهذه ثلاث أصناف للطاغوت.

ومن عُبد وهو راض، ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه، ومن ادعى شيئا من علم الغيب، ومن حكم بغير ما أنزل الله[١]

قوله : (ومن عُبد وهو راض) [٢]

ولو لم يدع إلىٰ عبادة نفسه، وسواء عُبِدَ في حياته أو بعد مماته، إن كان راضياً بذلك.

تنبيـــه:

المعبود من دون الله إذا لم يكن كارها لذلك فهو طاغوت.

قال القرطبي رحمه الله **:** والرضا بالكفر كفر.

قوله : (ومن دعا الناس إلىٰ عبادة نفسه)

أي: ولو لم يُعبد.

قوله : (من ادَّعىٰ شيئاً من علم الغيب)

أي: من عِلْمِ الغيب المطلق الذي لا يعلمه إلَّا الله، لأن الغيب قسمان: ١- نسبي، وهو ما قد وقع. ٢- مطلق، وهو ما لم يقع، فلا يعلمه إلا الله -عز وجل- ومن شاء أن يطلعهم عليه، كالأنبياء والرسل.

---

(١) سيأتي الكلام عنه في رسالة نواقض الإسلام -إن شاء الله-، فالحاكم بغير ما أنزل الله طاغوت، وقد يكون كافراً مرتداً، وقد لا يكون.

(٢) عيسىٰ -عليه الصلاة والسلام- عبد من دون الله لكنه غير راض عن عبادتهم .

والدليل: قوله تعالى: ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ . وهذا هو معنى لا إله إلا الله...

قوله: (والدليل)

أي: والدليل علىٰ أنَّ الله –تعالىٰ– افترض علىٰ عباده جميعاً الإيمانَ بالله والكفرَ بالطاغوت.

قوله –تعالى–: ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾.

أي: لظهور أَدِلَّته ووضوحها، لا يحتاج أن يُكره أحدٌ علىٰ الدخول فيه، ومن دخل فيه فإنما دخل باختياره وإرادته، لما رأىٰ فيه من المحاسن والخير والنفع الدنيوي والأخروي، ولهذا قال بعده:﴿ **قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ**﴾، فإذا تبيَّن الرشد من الغي؛ فإنَّ كل نفس سليمة لابدَّ أن تختار الرشد علىٰ الغي.

قوله – تعالى–: ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ﴾.

الرشد هو الحق، وهو دين الإسلام.

قوله –تعالى–: ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾.

(العروة) هي: ما يُتَعَلَّقُ ويُستمسَك به، قال العثيمين: (ولم يقل: تمسك، لأن الاستمساك أقوىٰ من التمسك، فإن الإنسان قد يتمسك ولا يستمسك). اهـ

و(الوثقىٰ) : مؤنث الأوثق؛ أي: الأقوىٰ.

والعروة الوثقىٰ هي: لا إله إلَّا الله، كما صحَّ ذلك عن ابن عباس.

وفي الحديث: "رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة...

فالدِّين أمران:

١-كفر بالطاغوت.

٢-وإيمان بالله.

فمن كفر بالطاغوت وآمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقىٰ لا انفصام لها.

قوله: (وهذا هو معنىٰ لا إله إلَّا الله)

أي: أنَّ الإيمان بالله والكفر بالطاغوت، هو ما تضمَّنته كلمة الإخلاص (لا إله إلَّا الله).

قوله : (وفي الحديث)

وهو حديث معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وهو حديث حسن لغيره.

قوله : (لا انفصام لها)

أي: لا انقطاع لها.

قوله في الحديث: (رأس الأمر: الإسلام).

الأمر هو: الدِّين، والمراد بالإسلام هنا: معناه العام، وهو: الاستسلام لله بالتوحيد، فإذا ذهب الرأس فلا إسلام. قال السندي: (رأس الأمر الإسلام، أي: الإتيان بالشهادتين). «حاشية السندي علىٰ سنن أبن ماجة» (٧/ ٣٤٣).

قوله : (وعموده الصلاة).

شبه الدين بالبيت أو الخيمة التي تقوم علىٰ عمود واحد، فإذا سقط العمود سقط البيت أو الخيمة، فكذلك الدين عموده الصلاة.

وذروة سَنامه الجهاد في سبيل الله"، والله أعلم. وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

=لأنَّه لا يقوم إلَّا بها، وهذا من ادلَّة كفر تارك الصلاة، وأنَّه ليس من المسلمين، لأنَّه أسقط عمود الدين.

قوله : (وذُروة سَنامه)

ذروة الشيء: أعلاه.

وذروة البعير: سَنامه، وهو أعلاه وأرفعه، فالجَمَل تميز بذروة سنامه، والإسلام تَمَيَّز وظهر بالجهاد في سبيل الله -عز وجل-.

فالنَّبي ﷺ جعل للدِّين ثلاثة أشياء: الرأس، والعمود، والسنام، فإذا عُدِم الرأس لم يوجد الدين، والذي لا يصلي لا يقوم له دين وإن شهد الشهادتين، وإذا فُقد الجهاد فُقدت قوة الإسلام وصار إسلاماً ضعيفاً، فالجهاد سبب لقوة المسلمين، وفَقْدُهُ سبب لضعفهم.

قوله : (والله أعلم)

ختم المصنِّف هذه الرسالة النَّافعة برد العلم إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ ﴿ **وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ** ﴾.

-تمَّ بحمد الله-

الخميس ١٤ -صفر- ١٤٤٢هـ

فهرس ثلاثة الأصول

المقدمة ٧
فضل علم التوحيد ١١
أهمية التوحيد ١١
تنبيه: ١٢
أوّلا: رسالة الأربع المسائل ١٤
تنبيه: ١٧
فائدة: ٢٠
تنبيه: ٢٢
ثانيًا: رسالة المسائل الثلاث ٢٤
المسألة الأولىٰ ٢٤
المسألة الثانية ٢٧
المسألة الثالثة ٢٩
فائدة: ٣١
تنبيه: ٣٢

ثالثًا: رسالة ثلاثة الأصول ٣٣
فائدة: ٣٧
الأصل الأول ٣٩
فائدة: ٤٠
تنبيه: ٤٣
أنواع العبادة ٤٥
فائدة: ٤٦
تنبيه: ٤٩
الأصل الثاني ٥٣
تنبيه: ٥٤
فائدة: ٥٥
المرتبة الأولىٰ: الإسلام ٥٦
المرتبة الثانية: الإيمان ٦٤
تنبيه: ٦٥
فائدة: ٦٦
تنبيه: ٦٨
المرتبة الثالثة: الإحسان ٧٠
فائدة: ٧١

فائدة: ٧٢
الأصل الثالث ٧٧
فائدة: ٧٩
فائدة: ٨٢
فائدة: ٨٧
تنبيــه: ٩١
فهرس ثلاثة الأصول ٩٦

***

تعليقات وفوائد

على متن

أربع القواعد

جمعها

أبو محمّد كامل بن علي الضالعي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[النساء: ١] .

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا**﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١] .

أما بعد:

فرسالة القواعد الأربع من الرسائل المهمة التي بينت معنىٰ التوحيد الذي دعت إليه الأنبياء والرسل -عليهم الصلاة والسلام-، ولهذا اعتنىٰ أهل العلم ودعاة التوحيد

بهذه الرسالة تعلُّمـاً وحفظـاً وتعليمـاً، فكثرت شروح هذه الرسالة، سواء المطبوع منها أو المسموع .

ومن باب المشاركة في تسهيل فهم هذا المتن علىٰ الدارسين لا سيما البادئين منهم، فقد جمعت تعليقات وفوائد علىٰ هذه الرسالة، واستفدت أكثرها من شروح هذه الرسالة[(١)]، ومما قصدته بهذا الجمع: الاقتصار علىٰ أهم ما يحتاجه الدارس لهذه الرسالة؛ فإن غالب الشروح فيها توسع أو مسائل رأيت أن من المناسب عدمَ ذكرها هنا حتىٰ تسهل الاستفادة ويكثر الانتفاع بهذا التعليق، فكثير من الدارسين يرغبون في الاقتصار علىٰ ما به يحصل فهم هذه الرسالة .

فأسأل الله –تعالىٰ– العليم الكريم أن ينفع بهذا التعليق كما نفع بأصله، وأن يجعله في ميزان حسنات جامعه وكل من أعان علىٰ كتابة هذا العمل ونشره .

والحمد لله رب العالمين وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين .

كتبه: أبو محمد كامل بن علي بن محسن الضالعي

دار الحديث السلفية بالضالع

الجمعة ٢٢/ ٢/ ١٤٤٢هـ

---

(١) وهذه التعليقات والفوائد كنت قد أمليتها علىٰ إخواني طلاب العلم أثناء تدريس هذه الرسالة في دار الحديث السلفية بالضالع، ثمّ رأيت طبع هذه التعليقات والفوائد، ليسهل الانتفاع بها بإذن الله –تعالىٰ– .

فضل علم التوحيد

إذا كانت العلوم الشرعية كلُّها فاضلة لتعلقها بالوحي المطهر؛ فإن علم التوحيد في الذروة من هذا الفضل العظيم[١]؛ لأنه يتعلق بأشرف ذات وأكمل موصوف[٢]، بالله الحي القيوم.

ومنزلة العلم تكون بقدر حاجة الناس إليه، وبما يحصل لصاحبه من الانتفاع به في الدنيا والآخرة. وحاجة العباد إلىٰ علم التوحيد فوق كل حاجة[٣]، وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة، لأنه لا حياة للقلوب ولا نعيم ولا طمأنينة إلا بأن تعرف ربها ومعبودها بأسمائه وصفاته وأفعاله، وما يجب له وما يُنزَّه عنه، ويكون مع ذلك أحب إليها مما سواه، ويكون سعيها فيما يقربها إليه دون غيره من سائر خلقه. ولهذا فقد أخطأ كثير من الدعاة عندما أهملوا هذا الجانب ولم يعتنوا بالتوحيد في دروسهم وخُطبهم وتآليفهم.

أهمية التوحيد:

والتوحيد أول منازل الطريق وأول واجب علىٰ المكلَّف، فالتوحيد أول ما يُدخَل به في الإسلام، فلما بعث النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ علىٰ اليمن قال

---

(١) فالعلوم الشرعية تتفاوت من حيث الفضل والأهمية.

(٢) فشرف العلم بشرف المعلوم، والباري أشرف المعلومات.

(٣) لأن تحقيق الإخلاص لله والسلام من الشرك هو أعظم أمر يسعىٰ العبد في تحصيله.

له: (**إنك تقدَم علىٰ قوم أهل كتاب؛ فليكنْ أولَ ما تدعوهم إليه عبادةُ الله ...**) رواه البخاري (١٤٥٨)، ومسلم (١٩) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفي لفظ عند البخاري (٧٣٧٢): (**فليكنْ أولَ ما تدعوهم إلىٰ أن يوحدوا الله تعالىٰ...**).

فالتوحيد أول واجب يتعلمه المسلم، قال الله تعالىٰ : (**فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات**).

والتوحيد آخر ما يخرج به من الدنيا، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (**لقنوا موتاكم**[1] **لا إله إلا الله**) رواه مسلم (٩١٧) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (**من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة**) رواه مسلم (٢٦) عن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وتوحيد الله وإفراده بالعبادة هو الغاية من خلق العالمين، كما قال الله –تعالىٰ–: ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾ .

الدعوة إلى التوحيد هي أول دعوة الرسل أجمعين:

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: وجميع الرسل إنما دعوا إلىٰ ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ [الفاتحة: ٥] فإنهم كلهم دعوا إلىٰ توحيد الله وإخلاص عبادته، من أولهم إلىٰ آخرهم، فقال نوح –عليه السلام– لقومه ﴿**اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**﴾ [الأعراف: ٥٩]

---

(١) أي: المريض الذي اشتد عليه المرض، فخُشي عليه الموت .

وكذلك قال هود وصالح وشعيب -عليهم السلام- وإبراهيم -عليه السلام-، قال الله تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦] وقال: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥]. اهـ مدارج السالكين (١/ ١٢١) .

التوحيد:

لغة: مصدر وحَّد يوحِّد توحيداً. ومادة «وحَّد» في أصل اللغة تدل علىٰ الانفراد. فمعنىٰ «وحَّدتَ الله» أي: نسبتَ إليه الوحدانية [(١)] .

شرعـًا: هو إفراد الله عَزَّوَجَلَّ بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات.

فتوحيد الله ثلاثة أقسام:

***- الأول: توحيد الربوبية:**

١- وهو اعتقاد أن الله تعالىٰ واحد في مُلكه وأفعاله لا شريك له .

٢- أو هو إفراد الله تعالىٰ في الخلق والملك والتدبير، وهي أهم أمور الربوبية.

٣- أو هو إفراد الله تعالىٰ بأفعاله .

***- الثاني: توحيد الألوهية (العبادة):**

١- وهو اعتقاد أن الله تعالىٰ واحدٌ في إلهيته وعبادته لا ند له، أي: لا شريك له .

---

(١) أو بمعنىٰ: اعتقدتَه واحدًا.

٢- أو هو إفراد الله بالعبادة .

٣- أو هو إفراد الله بأفعال العبد من صلاةٍ وصيام وذبح وغير ذلك من العبادات الظاهرة أو الباطنة .

***- الثالث: توحيد الأسماء والصفات:**[١]

١- هو اعتقاد أن الله واحد في ذاته وصفاته لا نظير له .

٢- أو هو إفراد الله بأسمائه وصفاته وتنزيهه عن كل نقص وعيب .

---

(١) وهو داخل في توحيد الربوبية، وإنما أُفرد بالذكر، وجُعِل قسماً ثالثاً لأهميته، ولكثرة الخلاف الحاصل فيه بين المنتسبين لدين الإسلام.

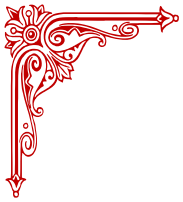
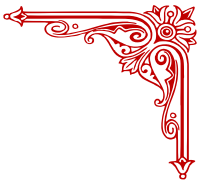

متن القواعد الأربع

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب النجدي رحمه الله:

بسم الله الرحمن الرحيم

أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يتولاك في الدنيا والآخرة، وأن يجعلك مباركًا أينما كنت، وأن يجعلك ممن إذا أُعطي شكر، وإذا ابتُلي صبر، وإذ أذنب استغفر، فإن هؤلاء الثلاث عنوان السعادة.

اعلم- أرشدك الله لطاعته- أن الحنيفيّة ملة إبراهيم: أن تعبد الله وحده مخلصًا له الدين، وبذلك أمر الله جميع الناس، وخلقهم لها، كما قال تعالىٰ: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْأِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ [الذاريات ٥٦].

*- فإذا عرفت أن الله خلقك لعبادته فاعلم: أنَّ العبادة لا تُسمىٰ عبادة إلا مع التوحيد، كما أن الصلاة لا تُسمىٰ صلاة إلا مع الطهارة؛ فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت، كالحدث إذا دخل في الطهارة أفسدها، كما قال تعالىٰ: ﴿**مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ**﴾ [التوبة: ١٧] .

*- فإذا عرفتَ أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها، وأحبط العمل، وصار صاحبه من الخالدين في النار، عرفتَ أن أهم ما عليك معرفةُ ذلك، لعل الله أن يُخلِّصك من هذه الشبكة، وهي الشرك بالله، الذي قال الله تعالىٰ فيه: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[النساء: ٤٨]. وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله تعالىٰ في كتابه:

القاعدة الأولى:

أن تعلم أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مُقِرُّون بأن الله تعالىٰ هو الخالق [الرازق المحيي المميت] المدبر [لجميع الأمور]، وأن ذلك لم يدخلهم في الإسلام.

والدليل: قوله -تعالىٰ-: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾[يونس:٣١] .

القاعدة الثانية:

أنهم يقولون: ما دعوناهم وتوجهنا إليهم إلا لطلب القربة والشفاعة [نريد من الله لا منهم، لكن بشفاعتهم والتقرب إليهم].

فدليل القربة: قوله -تعالىٰ-: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَىٰ اللهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾[الزمر:٣] .

ودليل الشفاعة: قوله –تعالىٰ–: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ﴾ [يونس:١٨] .

والشفاعة شفاعتان: شفاعة منفية، وشفاعة مثبتة. فالشفاعة المنفية: ما كانت تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله.

والدليل قوله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة:٢٥٤] . والشفاعة المثبتة هي التي تُطلب من الله، والشافع مُكْرَمٌ بالشفاعة، والمشفوع له: من رضي الله قوله وعمله بعد الإذن، [والدليل] كما قال تعالىٰ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة:٢٥٥] .

القاعدة الثالثة:

أن النبي ﷺ ظهر علىٰ أُناس متفرقين في عبادتهم منهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الأنبياء والصالحين، ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار، ومنهم من يعبد الشمس والقمر، وقاتلهم رسول الله ﷺ ولم يفرق بينهم. والدليل: قوله –تعالىٰ–: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لله﴾ [الأنفال:٣٩] .

ودليل الشمس والقمر: قوله –تعالىٰ–: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت:٣٧] .

ودليل الملائكة: قوله –تعالىٰ–: ﴿وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾[آل عمران:٨٠] .

ودليل الأنبياء: قوله –تعالىٰ–: ﴿وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلامُ الْغُيُوبِ﴾[المائدة:١١٦].

ودليل الصالحين: قوله –تعالىٰ–: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾[الإسراء:٥٧] .

ودليل الأشجار والأحجار: قوله –تعالىٰ–: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾[النجم:٢٠]، وحديث أبي واقد الليثي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: "خرجنا مع النبي ﷺ إلىٰ حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط. فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط، كما لهم ذات أنواط". الحديث.

القاعدة الرابعة:

أن مشركي زماننا أغلظ شركًا من الأولين، لأن الأولين يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة، ومشركو زماننا شركهم دائما في الرخاء والشدة.

والدليل: قوله –تعالىٰ–: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَىٰ الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾[العنكبوت:٦٥] .

فعلىٰ هذا: الداعي عابد، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿ ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلىٰ يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون * وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداءً وكانوا بعبادتهم كافرين ﴾ [الأحقاف: ٥-٦].

والله –سبحانه – أعلم.

تمّت.

وصلىٰ الله علىٰ محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين. (١)

(١) تنبيه: حصل اختلاف يسير بين نُسخ القواعد الأربع، وسبب ذلك مراسلات الشيخ الكثيرة، فربما راسل أهل بلد أو شخصاً أو جهة من الجهات، فيحصل اختلاف بين النسخ المرسلة، والموضوع واحد . والله أعلم.

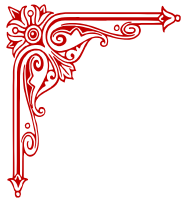
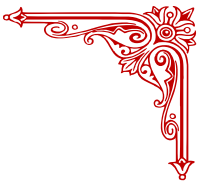

التعليقات والفوائد

قال الإمام المجدد رَحِمَهُ اللَّهُ :

بسم الله الرحمن الرحيم أسأل الله الكريم ربّ العرش العظيمِ أن يتولّاك في الدنيا والآخرة، وأن يجعلك مباركًا أينما كنت، وأن يجعلك ممّن إذا أُعطي شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر؛ فإنّ هؤلاء الثلاثَ عنوانُ السعادة.

اعلم –أرشدك الله لطاعته- أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدين، وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم لها، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ [الذاريات: ٥٦] .

القواعد معناها هنا الأصول والأسس التي ينبني عليها غيرها، ويُفهم بها التوحيد فهما صحيحا، وهناك قواعد مهمة أخرىٰ، ولكنه ذكر من القواعد ما يُناسب موضوع هذه الرسالة .

موضوع القواعد الأربع:

موضوعها: التفريق بين التوحيد والشرك، والتمييز بين المسلمين والمشركين .

فإذا عرفت أن الله خلقك لعبادته فاعلم أن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد، كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت، كالحدث إذا دخل في الطهارة أفسدها كما قال تعالى: ﴿**مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ**﴾ [التوبة: ١٧]، فإذا عرفت أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها، وأحبط العمل، وصار صاحبه من الخالدين في النار، عرفتَ أن أهم ما عليك معرفةُ ذلك، لعل الله أن يخلصك من هذه الشبكة، وهي الشرك بالله الذي قال الله تعالى فيه: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾ [النساء: ١١٦] . وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله تعالى في كتابه.

مصدر هذه القواعد :

صرح المؤلف رحمه الله: بأن هذه القواعد الأربع مذكورة في القرآن الكريم، أي: أن المؤلف استنبطها من آيات القرآن الكريم .

قال الإمام المجدّد رَحِمَهُ اللَّهُ:

بسم الله الرحمن الرحيم[١]

أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يتولاك[٢] في الدنيا والآخرة، وأن يجعلك مباركا[٣] أينما كنت، وأن يجعلك ممن إذا أُعطي شكر، وإذا ابتُلي صبر[٤]، وإذ أذنب استغفر[٥]...

---

[١] افتتح المؤلف رسالته بهذا الدعاء العظيم، وهذا من شفقته وتلطفه بالسامع أو القارئ، ليقبل بقلبه علىٰ ما بعده من الكلام، منشرحًا بسماعه...

[٢] **قوله:** (أن يتولاك) بدأ المصنّف هذه الرسالة بالدعاء للقارئ والسامع، بـ(أن يتولّاه الله)، أي: يحفظه ويقوم بنصره، ويدفع عنه الضرر، فالوَلاية أصلها الحب، فلا موالاة إلا بحبٍّ. قاله ابن القيم (الداء والدواء) ص٢٢٩

[٣] **قوله:** (أن يجعلك مباركًا) البركة لغة: النماء والبقاء.

وشرعًا: ثبوت الخير الإلهي في الشيء.

[٤] **قوله:** (مّمن إذا أعطي شكر، وإذا ابتلي صبر): الشكر نصف الإيمان، والصبر نصفه الآخر، والمؤمن يتقلب بين هذين المقامين، كما قال النبي ﷺ: **(عجبًا لأمر المؤمن، إنّ أمره كلّه خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سرّاء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضرّاء صبر فكان خيرًا له).**

[٥] **قوله:** (استغفر): أي: طلب المغفرة .

فإن هؤلاء الثلاث عنوان السعادة[١].

[١] قوله: (عنوان[(١)] السعادة): أي يُستدلّ بها علىٰ سعادة المرء، وأن من نالها فقد وفقه الله.

وخصّ المؤلف رحمه الله هذه الثلاث (النعمة والبلاء والذنب) بالذكر دون غيرها؛ لأن العبد المؤمن لا تنفك عنه هذه الأطباق الثلاثة .

وابتدأ المصنف رحمه الله رسالته بهذا الدعاء، لمعرفته بحاجة العبد إلىٰ الله –تعالىٰ– وإلىٰ رحمته ومغفرته وإلىٰ عنايته به وحفظه ورعايته له.

وهذه المقدمة استفادها المصنف من مقدمة ابن القيم لكتابه الماتع "الوابل الصيب من الكلم الطيب" .

(١) علامة .

قال الإمام المجدّد رَحِمَهُ اللَّهُ :

اعلم[١]- أرشدك الله لطاعته-[٢] [٣] أن الحنيفية ملة إبراهيم[٤]: أن تعبد الله وحده مخلصًا له الدين، وبذلك أمر اللهُ جميع الناس، وخلقهم لها، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالأِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات ٥٦].

[١] **قوله :** (اعلم) أي: كُن مُتهيئًا ومُستعداً لِما سيُلقىٰ إليك من العلم، وهذه الكلمة يُؤتىٰ بها عند ذِكر الأشياء المهمة، التي ينبغي علىٰ المتعلّم أن يُصغي إلىٰ ما يُلقىٰ إليه بعدها.

[٢] هذا دعاء آخر من المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ لمن يقرأ أو يسمع هذه الرسالة أو سامعها.

[٣] **قوله :** (أرشدك الله لطاعته) أي: هداك ووفقك وألهمك ما ينفعك .

والطاعة هي: عبادة الله بامتثال المأمور واجتناب المحظور .

[٤] **قوله :** (أن الحنيفية ملة ابراهيم)، قال الله –تعالىٰ-: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[آل عمران: ٦٧] ، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: الحنيف هو المُقبل علىٰ الله المعرض عما سواه . (جلاء الأفهام) ص٢٦٩.

وملة إبراهيم[١] هي: أن تعبد الله وحده مخلصًا له الدين، كما قاله المصنف هنا، وعرّفها ابن القيم فقال : (هي التوحيد وعبادة الله تعالىٰ وحده لا شريك له، ومحبته فوق كل محبه). (جلاء الأفهام). ص ٢٦٨ .

---

(١) لماذا نُسبت الملة لإبراهيم ولم تنسب لغيره من الأنبياء والمرسلين؟ انظر صفحة (٣٤) .

قال الإمام المجدّد رَحِمَهُ اللَّهُ :

*- فإذا عرفت أن الله خلقك لعبادته[١]؛ فاعلم: أنّ العبادة لا تُسمى عبادة إلا مع التوحيد[٢]...

= قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، هذه الآية فيها بيان للغاية التي لأجلها خَلق الله الجن والإنس، ألا وهي عبادة الله وحده.

فإذا كانوا لم يُخلقوا إلا لهذه الغاي؛ دل ذلك علىٰ أنهم مأمورون بتحقيقها.

[١] قوله : (فإذا عرفت أن الله خلقك لعبادته) هذه المعرفة مستفادة من الآية التي ذكرها المصنّف، وهي قوله تعالىٰ (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون).

[٢] قوله : (فاعلم أن العبادة لا تسمىٰ عبادة إلا مع التوحيد)، أي: لا تُسمىٰ عبادة صحيحة مقبولة، وإلا فإن المشركين كانوا يعبدون الله ببعض العبادات، لكنها عبادات فاسدة؛ لأنهم مشركون.

فالمشرك عَبَدَ الله وعَبَدَ معهُ غيرَه، لكن لا يقال له إنه عابدٌ لله، لأن اسم الفاعل يدل علىٰ الثبوت. انظر «بدائع الفوائد».

فائدة: تعريف العبادة:

العبادة هي: اسمٌ جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، فالصلاة والزكاة والصيام والحج وكذلك حب الله ورسوله وخشية الله... وأمثال ذلك هي من العبادة لله. [وهذا أحسن تعريف لمعنىٰ العبادة، قاله شيخ الإسلام في كتاب "العبودية"ص ٤٤] .

كما أن الصلاة لا تُسمى صلاة إلا مع الطهارة[١]؛ فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت[٢]، كالحدث إذا دخل في الطهارة أفسدها[٣].

كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [التوبة: ١٧].

---

[١] **قوله:** (كما أن الصلاة لا تسمىٰ صلاة إلا مع الطهارة)، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتىٰ يتوضأ). [متفقٌ عليه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

[٢] **قوله:** (إذا دخل الشرك في العبادة فسدت[(١)]): قال تعالىٰ: ﴿**وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [الأنعام: ٨٨]، وقال تعالىٰ: ﴿**وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ**﴾ [الزمر: ٦٥].

[٣] **قوله:** (كالحدث إذا دخل في الطهارة أفسدها)، هذا التمثيل لتقريب هذه المسألة العظيمة، وإلا فإن شرط الإخلاص والتوحيد لقبول العبادة أعظم من شرط الطهارة لقبول الصلاة.

---

(١) أي: أنها غير مقبولة، ولا يُثاب عليها.

قال الإمام المجدّد رَحِمَهُ اللَّهُ:

*- فإذا عرفتَ أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها، وأحبط العمل[١]، وصار صاحبه من الخالدين في النار، عرفتَ أن أهم ما عليك معرفةُ ذلك[٢]...

[١] قوله: (وأحبط العمل).

أي: أبطَلَه وأفسَدَه. والمراد بالشرك هنا: الشرك الأكبر، لأنه قال: (صار صاحبه من الخالدين في النار).

وقد اتفق أهل الحق علىٰ أن الموجب للخلود في النار هو الشرك الأكبر، لقوله تعالىٰ: ﴿**إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ**﴾ [المائدة: ٧٢]، وهذه الآية في الشرك الأكبر باتفاق العلماء.

فالشرك الأكبر إذا خالط العمل أحبط أصل الإيمان بالكلية، وأحبط جميع الأعمال، قال الله -تعالىٰ-: ﴿**وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [الأنعام: ٨٨]، (ما) موصولة، والاسم الموصول يفيد العموم، أي: لَحَبِطَ جميع الذي كانوا يعملونه.

[١] قوله: (عرفت أن أهم ما عليك معرفةُ ذلك).

أي: أن تعرف أن أعظم وأهمّ ما أمر الله به هو التوحيد، وأعظم ما نهىٰ عنه هو الشرك، ولا يمكن أن يُوحِّد العبدُ ربَّه إلا بعد معرفة التوحيد، ولا يمكن أن يَسلَم له التوحيد إلا بالسلامة من الشرك؛ فإن الشرك ضد التوحيد.

لعل الله أن يُخلِّصك من هذه الشبكة، وهي الشرك بالله[١]، الذي قال الله تعالى فيه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]. وذلك بمعرفة أربع قواعد[٢] ذكرها الله تعالى في كتابه

[١] **قوله:** (الشرك) .

الشرك: هو تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله، لقول الله -تعالىٰ-: ﴿**قالوا وهم فيها يختصمون تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين**﴾.

قال ابن القيم رحمه الله:

(حقيقة الشرك هو التشبُّه بالخالق والتشبيه بالمخلوق) .

وهذه التسوية التي حصلت من المشركين إنما كانت في بعض الأمور، كالمحبة والتعظيم والعبادة .

[٢] **قوله:** (وذلك بمعرفة أربع قواعد)

وهذه القواعد الأربع هي موضوع هذه الرسالة.

تنبيه: القواعد هنا بمعنىٰ الأصول.

وقواعد الإيمان والإسلام كثيرة، وإنما أراد المؤلف أن يذكر أربع قواعد فقط في موضوع بيان توحيد الربوبية والألوهية وبيان نوع الشرك الذي وقع فيه المشركون في الجاهلية، ليبين بذلك خطأ المشركين المتأخرين الذين وقعوا في الشرك الأكبر؛ لأنهم صرفوا العبادة لغير الله بل وصل الحال ببعضهم أنهم وقعوا في الشرك في الربوبية.

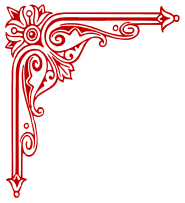

القاعدة الأولى

قال الإمام المجدّد رحمه الله:

القاعدة الأولى:

أن تعلم أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مُقِرُّون[١] بأن الله تعالى هو الخالق [الرازق المحيي المميت] المدبر [لجميع الأمور]، وأن ذلك لم يدخلهم في الإسلام[٢].

والدليل: قوله -تعالى-: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾[٣] [يونس:٣١].

---

[١] **قوله:** (مُقِرُّون) .

أي: معترفون ومذعنون بقلوبهم وألسنتهم .

[٢] **قوله:** (وأن ذلك لم يدخلهم في الإسلام) :

لأنهم لم يحققوا توحيد العبادة.

[٣] **قوله تعالى:** ﴿ **أَفَلا تَتَّقُونَ** ﴾ [يونس:٣١]، هذا استفهام تقرير وتوبيخ لهم.

.....

= أي: "أفلا تتقون الله فتخلصون له العبادة وحده لا شريك له، وتخلعون ما تعبدون من دونه من الأنداد والأوثان" . [قاله السعدي في تفسيره] .

فهؤلاء المشركون لم ينكروا أن الله معبود، ولكن الذي أنكروه: كونه وحده المستحق للعبادة، فقالوا: ﴿ **أجعل الآلهة إلها واحدًا إن هذا لشيء عجاب**﴾، ولذلك فإنهم قد عبدوا معه غيره.

قوله : (المحيي والمميت والمدبر) .

هذا من باب الإخبار، وإلا لم يأتِ دليل علىٰ أن هذه الثلاثة الأسماء من الأسماء الحسنىٰ، فيجوز في باب الإخبار ما لا يجوز في باب الأسماء.

المقصود من هذه القاعدة:

أولاً: أنَّ الكفار الذين قاتلهم النبي ﷺ كانوا مقرين بتوحيد الربوبية.

ثانيـًا: أنَّ إقرارهم بتوحيد الربوبية فقط لم يدخلهم في الإسلام، ولم ينتفعوا به، ولهذا أمرهم النبي ﷺ أن يدخلوا في الإسلام وقاتلهم علىٰ ذلك .

من فوائد هذه القاعدة:

الأولى: من أقرَّ بتوحيد الربوبية، ولم يحقق توحيد الألوهية -قولًا وعملًا-؛ لم يكن مسلمـًا.

.....

= **الثانية:** أن الأنبياء والمرسلين دعوا الخلقَ إلىٰ توحيد الألوهية، أما توحيد الربوبية فإن الأمم كانت تُقِرُّ به وتعترف به لله وحده، إلا من شَذَّ منهم كفرعون[١] والنمرود[٢].

الثالثة: توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية، يعني: أن من أقرَّ بربوبية الله لزمه شرعـًا وعقلاً أن يفرده بالعبادة وحده دون سواه؛ لأنه المستحق للعبادة وحده .

الرابعة: أن الفارق بين المؤمنين والمشركين هو توحيد الألوهية، قال المِقْريزي رحمه الله: (فتوحيد الربوبية هو الذي اجتمعت فيه الخلائقُ مؤمنُها وكافرُها، وتوحيد الإلاهية مَفْرق[٣] الطُرق بين المؤمنين والمشركين؛ ولهذا كانت كلمة الإسلام[٤]: (لا إله إلا الله)، ولو قال قائل: "لا ربَّ إلا الله" لما أجزأه عند المحققين، فتوحيد الألوهية هو المطلوب من العباد) . انتهىٰ [تجريد التوحيد الفيد] ص٨

الخامسة: توحيد الربوبية من براهين توحيد الألوهية، وهذه قاعدة القرآن: أنه يقرر توحيد الألوهية بتوحيد الربوبية، فيقرر كونه مستحقًا للعبادة وحده بكونه خالقـًا رازقـًا وحده، كما في الآية التي ذكرها المصنف.

---

(١) الذي قال مكابرة: ﴿**أنا ربكم الأعلىٰ**﴾.

(٢) الذي قال: ﴿**أنا أحيي وأميت**﴾.

(٣) أي: الفارق بين طريق المؤمنين وطريق المشركين .

(٤) أي: التي يقولها من أراد الدخول في دين الإسلام .

.....

= وكما في قول الله -تعالىٰ-: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١ - ٢٢].

السادسة: توحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية، فمن أفرد الله وحده بالعبادة فقد دخل ضمن هذا الإفراد بالعبادة لله وحده : الاعتراف بربوبية الله لجميع خلقه .

فإن الذي دفعه لتحقيق الألوهية لله رب العالمين هو صحة اعتقاده في أمور توحيد الربوبية، فمفتاح توحيد الألوهية هو تحقيق توحيد الربوبية.

تنبيه:

إنما وقع المشركون في شرك الألوهية بسبب ضعف توحيد الربوبية في قلوبهم، وإن كانوا بالجملة عندهم توحيد في أمور الربوبية، لكنهم قصَّروا في تحقيقه علىٰ الوجه الذي يدفع العبد إلىٰ إخلاص العبادة لله وحده.

السابعة: من الأدلة علىٰ كفر من أقر بتوحيد الربوبية فقط ولم يقر بتوحيد الألوهية: أن الله أمر نبيه ﷺ أن يجاهد هؤلاء الذين يعتقدون ذلك ، ولم يحرِّم دماءهم ولا أموالهم.

.....

= **الثامنة:** خطأ علماء الكلام[١] والصوفية الذين يزعمون أن التوحيد المطلوب من العباد هو الإقرار بأن الله هو الخالق المدبر، ويزعمون أنّ من أقرَّ بذلك صار من المسلمين .

وهذه الفوائد الثمان عند التأمل فيها نجدها راجعةً لمعنىٰ المقصَدَينِ الذينِ ذكرناهما في بداية شرح هذه القاعدة.

(١) سيأتي -إن شاء الله- الكلام عن المقصود بعلماء الكلام في سلسلة دروس العقيدة .

القاعدة الثانية

قال الإمام المجدّد رحمه الله:

القاعدة الثانية:

أنهم يقولون: ما دعوناهم[١] وتوجهنا إليهم[٢] إلا لطلب القربة والشفاعة [نريد من الله لا منهم[٣]، لكن بشفاعتهم[٤] والتقرب إليهم].

---

[١] **قوله:** (ما دعوناهم): ما دعونا هذه الأصنام والأوثان.

أي: دعاء العبادة المتضمن دعاء المسألة .

[٢] **قوله:** (وتوجهنا إليهم) .

أي: قصدنا إلىٰ عبادتهم .

[٣] **قوله:** (نريد من الله لا منهم) .

أي: أن الله هو المقصود في الحقيقة بهذه العبادة، ولا نطلب من الصنم أو الشجر أو الرجل الصالح بذاته .

[٤] **قوله:** (لكن بشفاعتهم) .

أي: لا يمكننا الوصول إلىٰ الله إلا عن طريق الشفعاء والوسائط، لما لهم من المنزلة العظيمة والجاه الرفيع عند الله، كالملائكة والصالحين من البشر.

فدليل القربة: قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾[١] [الزمر:٣].(١)

ودليل الشفاعة قوله –تعالى-: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾[٢] [يونس:١٨] .

والشفاعة شفاعتان: شفاعة منفية(٢)، وشفاعة مثبتة. فالشفاعة المنفية ما كانت تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله(٣).

---

[١] **قوله تعالى:** (إن الله لا يهدي من هو كاذبٌ كفار) .

أي: أن الله حكم عليهم بالكذب والكفر بسبب فعلهم هذا، فمن فَعَل فِعْلَهم؛ نال حكمهم؛ إذِ الحُكمُ يدور مع علته .

[٢] **قوله:** (هؤلاء شفعاؤنا عند الله) .

أي: يشفعون لنا عند الله لأجل حصول مصالحنا وأمورنا الدنيوية.

أما البعث والجزاء فإن المشركين كانوا كافرين به .

---

(١) زلفىٰ: مصدر مؤكد من غير لفظ الفعل، أي: ما نعبدهم إلا ليقربون إلىٰ الله تقريباً.

(٢) محرمة .

(٣) كشفاء مريض، أو غفران الذنوب .

والدليل قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة:٢٥٤] (١).

والشفاعة المثبتة هي التي تُطلب من الله، والشافع مُكْرَمٌ بالشفاعة، والمشفوع له: من رضي الله قوله وعمله(٢) بعد الإذن، [والدليل]: كما قال تعالى: ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة:٢٥٥] .

الشفاعة:

الشفاعة لغةً: مأخوذة من الشفع، وهو جَعْل الوتر شفعـًا، فهو ضد الوتر .

وشرعـًا: هي التوسط للغير لجلب نفع، أو دفع مضرة .

قوله: (والشافع مُكْرَمٌ بالشفاعة):

ويكون هذا من وجهين:

الأول: إكرام الشافع بقبول شفاعته .

الثاني: ظهور جاهه وشرفه عند الله تعالىٰ .

تنبيه:

ذكر المصنف دليل اشتراط الإذن في الشفاعة، واكتفىٰ به لإمكانِ اندراج الرضا فيه؛ فلا يأذن إلا بعد الرضا، فإن الله إذا رضي عن المشفوع له أذن للشافع .

---

(١) نفىٰ الشفاعة التي تكون بغير إذن ولا رضا من الله.

(٢) ولا يرضىٰ الله تعالىٰ إلا عن التوحيد.

.....

وقد جُمِعَ الشرطان في آية سورة النجم، قال الله –تعالىٰ–: (وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئًا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضىٰ)، وحذف متعلَّق (الرضا) ليعمَّ، فيصير في الشافع والمشفوع.

وسيأتي الكلام عن الشفاعة –إن شاء الله– في نواقض الإسلام .

المقصود من هذه القاعدة:

هذه القاعدة المقصود منها: الجواب لما قد يتبادر إلىٰ ذهن القارئ أو السامع بعد أن عرف أن المشركين كانوا مقرين بالربوبية وأن الله خالقهم ورازقهم وحده، فقد يتولد في ذهن القارئ أو السامع سؤال، وهو: إذًا لأيّ شيء عبدوا الأصنام والأوثان، أو ما هو الحامل للمشركين علىٰ دعاء غير الله والتوجّه إليه؟ أو: ما هو نوع الشرك الذي حُكم عليهم به؟

فبيَّن المصنف : أن الحامل للمشركين علىٰ دعاء غير الله والتوجه إليه شيئان:

أحدهما: طلب القُربة، والدليل: قوله –تعالىٰ–: ﴿ **والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلىٰ الله زلفىٰ**﴾ .

والثاني: طلب الشفاعة، والدليل: قوله –تعالىٰ–: ﴿ **ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله**﴾.

.....

فالمشركون لم يكونوا يعتقدون أن معبوداتهم تدبر الأمر وتستقل بما شاءت، ولكنهم كانوا يتوجهون[١] إليها لتحصيل هذين الأمرين، فهذا هو الشرك الذي وقع فيه المشركون الأوائل، فمن اعتقد اليوم في مخلوقٍ فدعاه، أو عبده ليشفع له عند الله أو يقربه إلىٰ الله؛ فهو مشرك، ويكون حكمه هو حكم المشركين الأوائل، إذ الحكم يدور مع علته.

فهذه القاعدة تضمنت أمرين:

الأول: بيان شبهة الكفار في عبادتهم لغير الله، وهي: اتخاذ الشفعاء والوسائط .

الثاني: بيان أن هذه الشفاعة وهذه الوسائط التي اتخذها المشركون مُحرَّمة بنص الكتاب والسنة.

فائدة:

الوسائط على قسمين[٢]:

الأول: وسائط شركية: وهي التي اتخذها المشركون، فزعموا أنها تشفع لهم عند الله وتقربهم إليه.

الثاني: وسائط شرعية: وهم الرسل، يبلغون الرسالة، ويعلمون الناس أمور دينهم .

---

(١) أي: يتقربون إليهم بالعبادات، من دعاء وذبح ونذر واعتكاف...

(٢) وهذا التقسيم باعتبار الوسائط التي بين الله وبين خلقه، وليس علىٰ سبيل العموم.

.....

فائدة:

ما هي أسباب وقوعهم في هذا الشرك –شرك طلب القربة والشفاعة-؟

وقع المشركون في هذا الشرك لأسباب:

الأول: قالوا: لأنهم أصحاب ذنوب ومعاصٍ، فليست لهم أهلية لدعاء الله وعبادته بغير واسطة... ولهذا كانوا يطوفون بالبيت الحرام عراة، ويقولون: لا نطوف بثياب عصينا الله فيها .

الثاني: أن هؤلاء الذين اتخذوهم وسائط وشفعاء لهم جاه ومنزلة رفيعة عند الله، فلذلك اتخذوهم وسائط وشفعاء لهم عند الله .

الثالث: قياسهم الفاسد، حيث إنهم مثَّلوا الله عَزَّوَجَلَّ بملوك الدنيا الذين لا يُوْصل إليهم إلا بوجهاء وشفعاء ووزراء يرفعون إليهم حوائج رعاياهم، ويستعطفونهم عليهم، ويمهدون لهم الأمر في ذلك، قالوا: كذلك الله –تعالىٰ– لا بد من اتخاذ شفعاء ووسائط بينه وبين خلقه.

فائدة:

الفرق بين طلب القربة وطلب الشفاعة:

قال بعض الشراح: إنهم أرادوا بطلب القربة إحراز الرفعة والكمالات، وأرادوا بطلب الشفاعة دفع النقائص والعيوب .

.....

فوائد هذه القاعدة:

الأولى: أن المشركين لم يعبدوا غير الله لأنهم هم الذين خلقوا ورزقوا وأحيَوْا وأماتوا ، وإنما عبدوهم من أجل أن يشفعوا لهم عند الله، ولأجل أن يقربوهم إلىٰ الله .

الثانية: هذه العبادة لغير الله كفر بالإجماع، لأن العبادة نهايةُ الحب والتعظيم، ونهايةُ الحب والتعظيم لا تكون إلا لله –تعالىٰ– .

الثالثة: أنكر الله –تعالىٰ– الشفاعة التي اعتقدها المشركون في آلهتهم[١]، وأخبر أن الشفاعة كلها له، وأنه لا يشفع عنده أحد إلا لمن أذن له أن يشفع فيه ورضي قوله وعمله، وهم أهل التوحيد .

الرابعة: شبهة المشركين الأولين[٢] ورثها المشركون في كل زمانٍ ومكان .

الخامسة: المشركون اليوم لم يعرفوا حقيقة التوحيد ولا حقيقة الشرك الذي وقع فيه مشركو العرب والأمم السابقة قبلهم؛ فلهذا صنعوا كصنيعهم[٣]، واعتقدوا أن هذا هو التوحيدُ الحق .

---

(١) ولما طلبها المشركون بغير إذن من الله، فإنهم يحرمون منها يوم القيامة.

(٢) أي: في جعل هذه الأوثان والأصنام وسائط، وشفعاء تشفع لهم عند الله، فسيكون الحكم علىٰ المشركين المتأخرين هو نفس الحكم الذي حُكم به علىٰ المتقدمين لأن الحكم يدور مع علته .

(٣) وزعموا أن ماهم عليه هو التوحيد .

القاعدة الثالثة

قال الإمام المجدّد رحمه الله:

القاعدة الثالثة:

أن النبي ﷺ ظهر على أُناس متفرقين في عبادتهم[١] منهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الأنبياء والصالحين، ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار[٢] ومنهم من يعبد الشمس والقمر، وقاتلهم رسول الله ﷺ ولم يفرق بينهم[٣]....

---

[١] **قوله:** (متفرقين في عبادتهم).

أي: متفرقين فيها من جهة تعدد معبوداتهم (آلهتهم) التي يعبدونها .

[٢] **قوله:** (ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار):

الأحجار، أي: الأصنام، أي: جعلوا الصنم علىٰ شكل وهيئة صورة معبود غائب، ليكون صنمًا نائبًا وقائمًا مقامه، وإلا فمن المعلوم أن عاقلاً لا ينحِت خشبةً أو حجراً بيده ثم يعتقد أنه إلهه ومعبوده . وانظر: «إغاثة اللهفان» لابن القيم بتصرف (٢/ ٢٢٤)، «الملل والنحل» للشهر تاني.

[٣] **قوله:** (ولم يفرق بينهم):

لأنهم وإن اختلفوا في معبوداتهم، فقد اجتمعوا في السبب الموجب للكفر، وهو عبادة غير الله.

والدليل[١]: قوله –تعالى-: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال:٣٩]. (١)

ودليل الشمس والقمر[٢]: قوله –تعالى-: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت:٣٧] . ودليل الملائكة[٣]: قوله –تعالى-: ﴿وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً﴾ [آل عمران:٨٠]. (٢)

ودليل الأنبياء: قوله –تعالى-: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾[٤] [المائدة:١١٦] .

[١] أي: الدليل علىٰ أنه قاتل جميع المشركين ولم يفرِّق بينهم.

[٢] **قوله:** (ودليل الشمس).

أي: ودليل عبادتهم الشمس.

[٣] أي: الدليل علىٰ أنها كانت تُعبد من دون الله

[٤] **قوله تعالى:** (قال سبحانك)، أي: تعاليتَ وتقدّستَ أن يكون معك إله.

---

(١) قاتلوا جميع من وقع في الشرك.

(٢) أي: النبي ﷺ .

ودليل الصالحين قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾[١] [الإسراء:٥٧].

ودليل الأشجار والأحجار: قوله -تعالى-: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى﴾ [النجم:٢٠](١)...

= **قول تعالى: ﴿وإذ قال الله يا عيسىٰ بن مريم ..﴾** الآية.

في الآية بيان أن الأنبياء والصالحين لا يدعون الناس إلىٰ عبادتهم، ولا إلىٰ الغلو فيهم، ولا إلىٰ طلب قضاء الحاجة منهم، ولكن إبليس هو الذي يدعو الناس إلىٰ الغلو في الصالحين من الملائكة والأنبياء والصالحين.

فكل صالحٍ عُبد من دون الله فإنه يتبرأ من أولئك العابدين ولا يعترف بعبادتهم له ولا يلحقه شيءٌ من المآثم والشركيات التي اقترفوها .

[١] قوله تعالى: ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلىٰ ربّهم الوسيلة أيهم أقرب﴾.

أي أن الصالحين المدعوِّين -علىٰ اختلاف منازلهم- هم بأنفسهم يرجون من الله عَزَّوَجَلَّ القربة ويرجون منه المغفرة وقبول العمل، فكيف يُدْعَوْن من دون الله؟ وهم لا يملكون لأحد قربىٰ ولا زلفىٰ إلىٰ الله، ولا شفاعة في جلب مصلحة أو دفع مضرة .

---

(١) اللات: صخرة. والعزىٰ: شجيرات. ومناة: صخرة. .

وحديث أبي واقد الليثي[١] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: "خرجنا مع النبي ﷺ إلى حنين[٢] ونحن حُدثاء عهد بكفر[٣]، وللمشركين سدرةٌ يعكُفون[١] عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط. فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط، كما لهم ذات أنواط". الحديث[٤].

[١] **قوله:** (يعكفون):

بضم الكاف وكسرها، والعكوف هو: الإقامة علىٰ الشيء، والمكث عنده.

المقصود من هذه القاعدة:

المقصود منها بيان أن الحكم عليهم بالكفر سببه: عبادة غير الله، دون نظرٍ إلىٰ منزلة المعبود، فمن يعبد نبيًا أو وليًا أو ملكًا، حكمه كحكم من يعبد الشجر أو الحجر أو الشمس أو القمر، فكلهم لا يستحقون العبادة .

وهذه القاعدة ردٌّ علىٰ المشركين المتأخرين الذين يقولون: إن آيات الشرك نزلت فيمن يعبد الأصنام، فكيف تجعلون الصالحين الذين طلبنا منهم الشفاعة والقربة إلىٰ الله مثل الاصنام ؟ ويقولون أيضًا: إن الشرك إنما هو عبادة الأصنام فقط.

---

(١) اسمه الحارث بن مالك. وقيل غير ذلك.

(٢) وكانت في شوال.

(٣) ذكر هذا اعتذاراً كما سيأتي من سؤال بعضهم..

(٤) فقال -عليه الصلاة والسلام-: «**قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسىٰ: {اجعل لنا إلها كما آلهة قال إنكم قوم تجهلون}** ».

.....

فينكرون التسوية في الحكم بين من يدعو صنمًا وبين من يدعو وليًا أو صالحًا.

فبيَّن المصنف أنه لا فرق بينهم، لأنهم جميعًا صرفوا العبادة لغير الله، فالكل وقع في الشرك، سواءٌ عبد صالحًا أو طالحًا أو ملكًا أو حجراً، فإن الشرك هو دعاء غير الله في الأشياء التي تختصّ به -سبحانه-، أو اعتقاد القدرة لغيره فيما لا يقدر عليه سواه، أو التقرب إلىٰ غير الله بأي نوعٍ من أنواع العبادات.

من فوائد القاعدة:

الأولىٰ: أن اختلاف الأسماء لا يُغير الحقائق، فليست العبرة في معرفة الشرك نوعية المعبود، وإنما هي عبادة غير الله، فكل من قصد غير الله بالعبادة فقد اتخذه إلهًا، سواءٌ قصد حجراً أو شجراً أو نبيًا أو ملكًا . ولهذا جعل النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ طلب بعض مُسْلِمَة الفتحِ كطلب بني إسرائيل من موسىٰ، وإن كانوا سموها ذات أنواط.

الثانية: أن من اعتقد في مخلوق جلب منفعة أو دفع مضرة فقد اتخذه إلهًا، قال الله -تعالىٰ-: ﴿**وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ قَالَ سُبْحَانَكَ**﴾ [المائدة: ١١٦]، فمن عُبد فهو إله .

فبنو إسرائيل والذين سألوا النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لم يريدوا من الأصنام والشجر الخلق والرزق، وإنما أرادوا البركة والعكوف عندها، فكان ذلك اتّخاذ إلهًا مع الله تعالىٰ .

.....

الثالثة: أن الشرك في بني آدم أكثره عن أصلين، أي: سببين، أولهما: تعظيم قبور الصالحين وتصوير تماثيلهم للتبرك بها[١]. الثاني: عبادة الكواكب[٢].

الرابعة: أن الله -تعالىٰ- أمر المؤمنين أن يقاتلوا جميع المشركين مع اختلاف آلهتهم التي يعبدونها من دون الله -تعالىٰ- حتىٰ يكونَ الدينُ كله لله -تعالىٰ-، فلا فرق بين المعبودات، بل الكل تسوية المخلوق بالخالق، فالكل شرك، والعابدون لها مشركون .

الخامسة: في حديث أبي واقد الليثي دلالةٌ علىٰ أن الاعتكاف عند الشجرة عبادة، وأن طلب البركة منها وحصول النفع عبادةٌ أخرىٰ، فمن صرفها لغير الله فقد أشرك.

السادسة: تعليقهم الأسلحة لتنتقل البركة من الشجرة إلىٰ الأسلحة فينتفعون بذلك، هذا الفعل يعد من الشرك في العبادة.

السابعة: أن الذين قالوا: (اجعل لنا ذات أنواط) لم يحكم عليهم النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بالكفر، لسببين: الأول: لأنهم جهلوا هذا الأمر، فقد كانوا حدثاء عهد بكفر، والثاني: لأنّهم لم يفعلوا هذا الذي كانوا طلبوه .

---

(١) وهو أكثر الشرك الذي كان عليه مشركوا قريش والعرب .

(٢) وهو أكثر الشرك الذي كان عليه قوم إبراهيم الخليل.

.....

هكذا ذكر شراح هذا الحديث، والأول هو المعتمد، فإنهم لم يكفروا لأنهم معذورون بالجهل، ولأجل ذلك ذكر راوي الحديث أنهم كانوا حدثاء عهد بكفر.

القاعدة الرابعة

قال الإمام المجدّد رحمه الله:

القاعدة الرابعة:

أن مشركي زماننا أغلظ[١] شركًا من الأولين، لأن الأولين يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة، ومشركو زماننا شركهم دائم في الرخاء والشدة.

والدليل: قوله –تعالى-: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾[١] [العنكبوت:٦٥] . فعلى هذا[٣]: الداعي عابد....

---

[١] **قوله:** (أغلظ):

أي: أعظم شركًا وأشد .

[١] **قوله تعالى:** (إذا هم يشركون):

أي: إذا هم يعودون إلىٰ شركهم فيدْعون آلهتهم .

[١] **قوله:** (فعلىٰ هذا) :

أي: فعلىٰ ما تقدم بيانه في هذه القاعدة أن دعاء المشركين لله في حال الشدة يُعد عبادةً، فكذلك من دعا غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فقد عبده؛ لأن الدعاء عبادةٌ،

والدليل: قوله –تعالى-: ﴿ ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون * وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداءً وكانوا بعبادتهم كافرين﴾[١] [الأحقاف: ٥-٦].(١)

والله –سبحانه- أعلم. تمّت

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

= وفي الحديث(٢): (الدعاء هو العبادة) . ثم ذكر المصنف الدليل علىٰ تسمية الداعي عابدًا.

[١] **قوله تعالى:** (ومَن أضَلُّ): الاستفهام هنا للنفي، وهو أبلغ من النفي المجرد، أي: هو أبلغ من أن يقول: لا أضلُّ ممّن يدعو من دون الله....

المقصود من ذكر القاعدة:

المقصود من ذكر القاعدة بيان أن المشركين في زمن المصنّف رَحِمَهُ اللَّهُ: –وهكذا إلىٰ يومنا– أغلظ شركًا من المشركين الأولين.

---

(١) أي: بدعائهم، فالدعاء هو العبادة. .

(٢) حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

.....

فائدة:

شرك المتأخرين أغلظ من شرك الأولين من وجوه:

الأول: أن الأولين يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة، كما في الآية التي ذكرها المصنف.

أما المتأخرون فمن رآهم حال شدتهم، أو قرأ في كتبهم، وجدهم يشركون في حال الشدة كشركهم في حال الرخاء أو أشد .

الثاني: أن الأولين في الغالب كانوا يدْعُون مع الله خلقًا مقربين من الأنبياء والملائكة والصالحين، أو يدعون أشجاراً أو أحجاراً ليست عاصيةً.

أما المتأخرون فيدعون مع الله –تعالىٰ– الفُسَّاقَ والفجَّارَ[1] أو من يدَّعي الوَلاية المطلقة والتصرف في الكون ويدَّعي الألوهية كابن عربي الحلولي والحلاج وغيرهما من زنادقة الصوفية[2].

---

(١) بل بلغ ببعض أتباعهم أنهم يذكرون هذا الفجور والفسوق علىٰ أنه من كراماتهم .

(٢) وهذا الفارق ذكره المؤلف في كشف الشبهات.

.....

الثالث: أن الأولين يعتقدون أن ما هم عليه من عبادة غير الله مخالف لكلمة التوحيد التي هي أساس لدعوة الأنبياء والرسل، فإنهم قالوا: ﴿ **أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ** ﴾ [ص: ٥].

أما المتأخرون فإنهم يدَّعون أن فعلهم موافقٌ لدعوة الأنبياء والرسل، فيعبدون غير الله ويزعمون أنهم لم يخالفوا كلمة التوحيد (لا إله إلا الله).

الرابع: أن المشركين الأولين كانوا لا يشركون بالله في شيء من المُلك والتصرف الكلي العام، بل كانوا يقولون في تلبيتهم[(١)]: (لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك، إلا شريكًا هو لك تَمْلكه وما ملك)[(٢)].

أما المتأخرون فجعلوا لمن يعظمونه مُلكًا وتصرفًا في الكون، وقصدوهم علىٰ أن لهم تدبيرَ العالم وما يجري فيه، وهذا شرك لم تعرفه الجاهلية الأولىٰ .

الخامس: أن المشركين الأولين كانوا مقرين بشركهم، كما في تلبيتهم التي ذكرناها سابقًا، ويسمون رغبتهم إلىٰ معظَّميهم عبادة[(٣)].

---

(١) رواه مسلم عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

(٢) أي: تملك الشريك وما يملكه الشريك .

(٣) كما قالوا: {**ما نعبدهم إلا ليقربونا إلىٰ الله زلفىٰ**} .

.....

أما المتأخرون فيزعمون أنهم بربهم لا يشركون، ويسمون رغبتهم إلىٰ معظميهم محبةً[١]، وهم في زعمهم هذا كاذبون .

السادس: أن عامة شرك الأولين في الألوهية وهو في غيرها قليل[٢].

أما المتأخرون فشركهم كثيرٌ في الألوهية والربوبية[٣].

السابع: أن الأولين قصدوا معبوداتهم لتقربهم إلىٰ الله، فهي عندهم شفعاء ووسائط.

بخلاف حال أكثر المتأخرين، فإنهم قصدوا معبوداتهم من دون الله علىٰ جهة الاستقلال والتصرف في الكون، كما هو حال غلاة الصوفية والرافضة ومن قال بقولهم.

---

(١) وحقًا للأولياء عليهم .

(٢) كما في حديث: (أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر...)فكان شرك هؤلاء في الربوبية... لكنه ليس في كل أمور الربوبية وليس عند جميع المشركين.

(٣) كما نجده في كلام الصوفية والشيعة، حيث اعتقد كثيرون منهم أن لأوليائهم وأئمتهم تصرفًا في هذا الكون...

.....

الثامن: أن المشركين الأولين كانوا يعظمون اللهَ تعالىٰ وشعائرَه في بعض الأحوال، فإذا أرادوا تأكيد اليمين لم يحلفوا إلا بالله[١]، ويُعيذون من عاذ بالله وببيته الحرام[٢]، ويعتقدون أن البيت الحرام أعظمُ من بيوت أصنامهم.

أما المتأخرون فإن أحدهم يقسم بالله صادقًا وكاذبًا، وإذا أرادوا تأكيد اليمين أقسموا بآلهتهم ومشايخهم، ولا يحلفون بآلهتهم إلا إذا كانوا صادقين، ويعتقدون أن العكوف عند المشاهد والقبور أعظمُ من العكوف في المساجد ، وأكثرهم يرىٰ أن الاستغاثة بإلهه الذي يعبده عند قبره أنفعُ من الاستغاثة بالله في المسجد .

التاسع: أن الأولين كانوا يعبدون الصالحين الأموات، وأما المتأخرون فمنهم من يعبد الأولياء -بزعمهم- وهم أحياء .

تنبيه:

قولنا: (شرك المتأخرين أغلظ من شرك المتقدمين) ليس المقصود منه تكفير جميع من وقع في الشرك من المتأخرين، فإن بعضهم جُهَّال، وإنما المقصود أنهم في مسألة الشرك كان شركهم أغلظَ من شرك المتقدمين .

تمت بحمد الله

---

(١) {وأقسموا بالله جهد أيمانهم}.

(٢) ولو كان غريمًا لهم .

فهارس أربع القواعد

المقدمة ١٠٣
فضل علم التوحيد..... ١٠٥
الدعوة إلىٰ التوحيد هي أول دعوة الرسل أجمعين:..... ١٠٦
التوحيد: ١٠٧
متن القواعد الأربع ١٠٩
القاعدة الأولىٰ: ١١٠
القاعدة الثانية: ١١٠
القاعدة الثالثة: ١١١
القاعدة الرابعة:..... ١١٢
التعليقات والفوائد ١١٤
موضوع القواعد الأربع:..... ١١٤
مصدر هذه القواعد :..... ١١٥
فائدة: تعريف العبادة:..... ١١٩
القاعدة الأولىٰ ١٢٣

المقصود من هذه القاعدة: ١٢٤
من فوائد هذه القاعدة: ١٢٤
القاعدة الثانية ١٢٨
الشفاعة: ١٣٠
تنبيه: ١٣٠
المقصود من هذه القاعدة: ١٣١
فائدة: ١٣٢
فائدة: ١٣٣
فائدة: ١٣٣
فوائد هذه القاعدة: ١٣٤
القاعدة الثالثة ١٣٥
من فوائد القاعدة: ١٣٩
القاعدة الرابعة ١٤٢
فائدة: ١٤٤
تنبيه: ١٤٧
فهارس أربع القواعد ١٤٩

***

دار العلم النافع
للطباعة والنشر والتوزيع